إشكالية الخير والشر عند جوزايا رويس

إعداد

د. محمد محمود داود
مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة
بكلية التربية جامعة دمنهور

مجلة الدراسات التربوية والانسانية. كلية التربية. جامعة دمنهور.
المجلد الرابع عشر – العدد الرابع – الجزء الرابع (ب)- لسنة 2022

إشكالية الخير والشر عند جوزايا رويس

د. محمد محمود داود

الملخص

تناولت فلسفة رويس الأخلاقية من خلال الدين ، فقد كان وجود الله والمطلق المحور الأساسي الذي تشتمل عليه كل فلسفة ، والغاية لكل موضوعاته الأخلاقية ، ولذلك لجا رويس إلي البصيرة الخلقية ، تلك القوة الخلقية أو الملكة التي وهبها الله للإنسان ليدرك بها الحقائق الغامضة أو الغير معلومة من الأشياء ، وهكذا فقد جاءت مثالية رويس مجددة للدين وكذلك مجددة للأخلاق وتحقق أكبر قدر من الانسجام والوحدة بين الأفراد والغايات الأخلاقية المختلفة ، ويمثل الشك أول مراحل البصيرة الخلقية التي تدل الانسان علي واجباته ، كما ترشده علي الإرادة الكلية الخيرة .

الكلمات المفتاحية:

البصيرة الخلقية – جوزايا رويس– الولاء – الحرية الاخلاقية – مشكلة الخير والشر .

Abstract

Royce's moral philosophy was addressed through religion. The existence of God and the Absolute was the basic axis contained in every philosophy, and the goal of all his moral topics. Therefore, Royce resorted to moral insight, that moral power or faculty that God gave to man to perceive mysterious or unknown truths. Of things, and thus Royce's idealism came to renew religion as well as to renew morals and achieve the greatest degree of harmony and unity between individuals and different moral goals. Doubt represents the first stage of moral insight that guides man to his duties, and also guides him to the universal, good will.

Keywords:

moral insight - Josiah Royce - loyalty - moral freedom - the problem of good and evil**.**

مقدمة :

الأخلاق هي الركن الأساسي من أركان الوجود الاجتماعي ، وتمثل النسق الحيوي الهام في الحياة الإنسانية ، حيث تستطيع الأخلاق النهوض بحياة الفرد إلي أرقى مستوياتها الإنسانية فهي نظام من القيم يوجه حياة الفرد ، ولا يتحقق للإنسان جوهره الإنساني إلا من خلال صورته الأخلاقية ؛ وذلك لأنه هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يضحي برغباته من أجل الرفعة الأخلاقية ، رغبة منه إلي تعظيم قيم الشرف والشجاعة والإيثار والخير والجمال، وكل الفضائل والقيم التي تشكل الحياة الأخلاقية وأهدافها .

وقد تأثر جوزايا رويس بمثالية العديد من الفلاسفة السابقين له مثل كانط ، وفيشته ، وشيلنج ، وهيجل ، وشوبنهور ، إلا أنه يعد بالدرجة الأولى واحدا من فلاسفة الحركة الهيجلية الجديدة التي تبلورت علي يديه في أمريكا محققة نجاحاً وازدهاراً باهراً . ففي صدر مجلده "الجانب الديني للفلسفة " يعترف رويس "بأنه مدين لهيجل" ، بل وأضاف " أنه من الخطأ إهمال الفلاسفة المثاليين الآخرين من أجل تمجيد هيجل"[1] ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول أن أهم مميزات شخصية رويس هي: الإخلاص، والتواضع ، والعرفان بالجميل مع عمق الرؤية ، والذكاء ، وسعة الاطلاع .

ومن المشكلات الفكرية التي تفرض نفسها على الفكر في كل عصر هي مشكلة الخير والشر ، لأنها مشكلة الإنسان حيثما وجد، فقد منحه الله القدرة على فعل الخير والشر على السواء، كما أن النفس الإنسانية قد سواها الله لتكون مستعدة لعمل الخير أو الوقوع في الشر ومخالفة ما جاء في القوانين السماوية. فالشر ليس فطرياً والاستعداد له يمثل مشكلة لصاحبه اهتم بها الأخلاقيون كما اهتم بها الفلاسفة من الناحية الدراسية، وربما كانت مشكلة الشر متجسدة في الكون ابتداءً من إغواء إبليس لآدم وظل به حتى أكل من الشجرة المحرمة فكان بذلك مغوياً له على الوقوع في الشر.

([1])Royce ; The Religious Aspect of philosophy , A Critique of the Bases of Conduct and of faith , Boston and New York, Houghton , Mifflin Company, The Riverside Press Cambridge, 1885. 1885 , p xiv

كما تعد مشكلة الخير والشر من المشكلات الفلسفية العميقة التي يحددها مختلف الفلاسفة في مجال الأخلاق، بوجه عام . فمن جانب، يقرر أرسطو Aristotle (384 ق م – 322 ق م) اعتبار الشر الطبيعي natural evil بمثابة حالة من الضرورة اللاعقلية التي مفسر خضوع الموجودات الإنسانية Human Beings إلي نوع من القدرية الطبيعية natural fateism ومن جانب آخر، يعتقد ليبنتز G.Leibniz (1646 – 1716) بحقيقة مذهب التفاؤلية Optimism الذي يقرر خيرية العالم خيرية كاملة . perfect goodness وبالتالي، يذهب ليبنتز في مؤلفه : " العدالة الإلهية " إلى رفض أية محاولة لتفسير الخير والشر في العالم .م ما يفسر تأثر الفيلسوف بكل من: أوغسطين ST. Augustin (354 – 460) وتوما الأكويني ST. Aquinas (1225 – 1274) حيث تتحدد علة الشر، في فلسفة أوغسطين، في العالم في حالات : العدم والحرمان .فيسمح الله بالشر لكي يحقق الخير بوصفه الخير الأعظم .في حين، يسمح الله بالشر، في فلسفة الأكويني ، من أجل الاتجاه إلى الخير المطلق للعالم.[2]

إن مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة تمثل مجمل فلسفة جوزايا رويس ، صحيح أن رويس أشاد فلسفته المثالية الخاصة به ولكن سخرها لمشروعه الديني الذي ركز فيه على مفاهيم فلسفة الدين من خلال بحثه عن مفاهيم المطلق وعلاقة الفرد بالجماعة ، ومفهوم الولاء والشك والخير والشر وغيرها من المفاهيم و (التعبير الأول للمثالية الرويسية هي الترجمة بعبارات ما ورائية لاعتقاد رويس بكل أزلي ، مطلق إلهي ، حيث سنكون نحن الأجزاء ، وقد تلقى رويس هذا الاعتقاد من أمه والتي بالنسبة لها كان يعني : جماعة مسيحية ، جسم متزهد للمسيح وحيث الناس هم الأعضاء).[3]

إن الأساس الذي تهدف إليه فلسفة رويس الأخلاقية هو تحقيق الانسجام في الحياة الإنسانية ، وكان هذا الهدف يشغل رويس منذ وقت مبكر من حياته ، فحينما كان في العشرين من عمره

([2]) Leibniz, Gottfried : God, Evil, and The Best of all possible worlds, In John Perry and Michael Bratman (eds.) (1999), Introduction to philosophy: classical and contemporary Readings, New York and Oxford: Oxford University press, p 92 ph2.

([3]) جيرار ديلودال: الفلسفة الأميركية، ترجمة جورج كتورة والهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، ط1، 2009 ، صـ 256

نشر مقالا بعنوان "انسجام الحياة" ناقش فيه ما اذا كانت الحياة الإنسانية تنمو عن طريق الانسجام أو عن طريق التغيرات المفاجئة . وهو ينشد تحقيق الانسجام أولا داخل الفرد حيث تتنازعه أغراض أو إرادات كثيرة لا يستطيع أن يحققها جميعا في آن واحد ، ويكون لزاماً عليه أن يختار بينهما ، وثانيا داخل الجماعة أو النظام الاجتماعي بين أغراض الفرد الواحد وأغراض سائر الافراد.

إن مشكلة الشر ووجوده في العالم ، مع كون الله خيراً بطبيعته قد أشار إليها رويس ، وحاول إثبات أن وجود الشر ليس وسيلة للخير وانما هو وجود مهزوم باطن الإرادة الخيرة ، محاول التوفيق بين الخير والشر لكي يحقق في النهاية إرادة الله الخيرة ، وبالتالي يحقق كمال الحياة الإلهية ومن خلال عرضه لمشكلة وجود الشر جاءت مشكلة الحرية الأخلاقية لتوضيح إرادة الفرد في الاختيار بين الخير والشر من خلال معرفته بها من خلال فعل الانتباه الواعي للتميز بين الأفعال الخيرة والأفعال الشريرة ، ومن ثم يتبع ذلك فكرة الإلزام الخلقي وفقا للقانون الخلقي الذي يلتزم الفرد بإرادته الحرة .

ومن ثم تشكل إشكالية الخير والشر مفتاحاً أساسياً لفهم وفحص طبيعة فلسفة الدين في فكر رويس ، بل ستغدو هذه الإشكالية بمثابة " الخيط الناظم الخفي الذي يوجه قضايا فلسفة الدين في العصر المعاصر ".

ونظراً لأهمية الأخلاق في حياة الأفراد والمجتمعات وما تتضمنه من أفعال خيرة وشريرة حاولنا أن نشارك في هذا البحث من خلال الإجابة علي الإشكالية التالية : ما هي إشكالية الخير والشر عند جوزايا رويس ؟ وما هي أهم المفاهيم والمضامين المتضمنة فيه ؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية سيتم تناول رؤية وفلسفة جوزايا رويس في النقاط الآتية :

1. ماهية الأخلاق عند جوزايا رويس
2. الحرية الأخلاقية عند جوزايا رويس
3. علاقة الولاء بالأخلاق عند جوزايا رويس
4. مشكلة الشر عند جوزايا رويس
5. علاقة الخير بالشر عند جوزايا رويس

ولقد اعتمدت في هذه الإشكالية علي المنهج التحليلي الذي يسمح لنا بمعرفة حقيقة النصوص إضافة إلي المنهج التاريخي الذي يوضح لنا تطور مشكلة الخير والشر في مراحل زمنية مختلفة

المبحث الاول : ماهية الأخلاق عند جوزايا رويس :

يتفق الباحثون على النظر إلى الفيلسوف الأميركي جوزايا رويس(1855 – 1916)[*] كأحد أبرز فلاسفة الأخلاق في القرن التاسع عشر . بل إنّ كثيرين منهم يعتبرونه في مقدم الذين وجّهوا النقد العميق والمنهجي لقيم الحداثة وعيوبها الأخلاقية . ولعلّ من أهمّ ما اكتسبته شخصيّة رويس في مجال الفلسفة الأخلاقية أنّها دخلت على خط التجربة التاريخية للعلمانية لتعيد الربط بين الفلسفة والدين ، وبالتالي بين القيم الدينية الإلهية وشؤون الإنسان الدنيوية .

وقد اهتمت المدارس الفلسفية عبر العصور بدراسة الظاهرة الأخلاقية ووضع تعريف وتفسير لها ، كما حَاول الفلاسفة وضع ضوابط وأسس للقيم الأخلاقية عبر العصور.

اشتقت لفظة الأخلاق « Morale » من الأصل اللاتيني.Moralis ، وتشير الكلمتان إلى الأخلاق والآداب والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع بصورة عامة. أما لفظة Ethique فهي مشتقة من اللفظة الإغريقية Ethikos ويقابلها في اللاتينيةEthica، وتعني أيضا في استخداماتها العامة النظام الأخلاقي المعياري لجماعة أو مجتمع محدد[4] ، حيث يعمل هذا النظام الأخلاقي على توجيه سلوك الأفراد نحو الفضيلة والحق والخير والواجب والقيم الأخلاقية

---

[*] جوزايا رويس: فيلسوف أمريكي هيجلي النزعة مثالي المذهب وهو الميتافيزيقي الأمريكي الوحيد، ولد في " crass valleg "بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة في 20 نوفمبر 1855 وهو ابن لوالدين إنجليزيين عبرا القارة الأمريكية اثناء التهافت على الذهب سنة 1849 ، ودخل جامعة كاليفورنيا في سنة 1871 ، وحصل على البكالوريوس سنة 1875 . كتب بحثا عن اللاهوت في مسرحية "برونيوس مقيدا"، نال به منحة من المال مكنته من تقضية عامين في ألمانيا، حيث راح يقرأ للفلاسفة الألمان وخصوصا شلينج وشوبنهور، والتحق بجامعة "جيت خن "حيث درس على يد الفيلسوف " لوتسة"، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة جونز هوبنكر، في (بلتيمور)، وكان حينها يستمع لوليم جيمس وبعض محاضراته، عين مدرسا في جامعة كاليفورنيا لبضعة أعوام، ثم أستاذ مساعد ، وفي 1892 صار أستاذا في نفس الجامعة (هارفاد) وشغل كرسي اللفورد للفسفة في جامعة هارفارد سنة 1914 . توفي في 14 سبتمبر 1916 . من مؤلفاته محاضرات في المثالية الحديثة، الجانب الديني للفلسفة، روح الفلسفة الحديثة، مفهوم الله، دراسات في الخير والشر، العالم والفرد ، ج 1 / ج 2، فلسفة الولاء، وليم جيمس وفلسفة الحياة، مصادر البصيرة الدينية، مشكلة المسيحية ج 1 / ج 2 ، مفهوم الله ، ودراسات أخرى، أنظر د.عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفية (ج 1)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1984 ، ص 544 ، وأيضاً راجع جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة – بيروت، ط3، 2006م، ص334

(4) Grawitz, Madelin: Lexique des sciences sociales, Dalloz, Paris,1983.p. 144 et p.256.

بصورة عامة. وقد استخدم مفهوم Ethique لأول مرة في اللغة الفرنسية في القرن الثالث عشر بمعنى الأخلاق والآداب.

وقد اعتقد السوفسطائيون أن النظرية الأخلاقية تقوم علي أساس إشباع اللذات، التي هي سبيل السادة ، فالرجل القوي عندهم هو القادر علي إشباع شهواته ، فما كبح الشهوات إلا نوع من الضعف الإنساني الآتي من عدم القدرة علي إشباعها ، وإنه لأمر لا يليق به بل بالعامة[5]، أما هو (الرجل الكامل والقوي) فعليه أن يكون شديد النزوع وأن يشبع رغباته إلي حد التمام أما ذلك الذي لا يشتهي فما هو إلا كالحجر ، فما طبيعة الحياة إلا نزوع ورغبة ، وشهوة ، قوة تدفع إلي تحقيقها ليشعر المرء باللذة ويحصل علي السعادة كما يعتقدون.[6]

ويري سقراط (470 ق م – 399 ق م) أن الإنسان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره ، والقوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة في قلوب البشر ، فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهي ، وقد يحتال البعض في مخالفتها بحيث لا يناله أذى في هذه الدنيا ولكنه مأخوذ بالقصاص العدل لا محالة في الحياة المقبلة ، والإنسان يريد الخير دائمًا ويهرب من الشر بالضرورة ، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان أراده حتمًا ، أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره ، ولا يعقل أنه يرتكب الشر عمدًا ، وعلى ذلك فالفضيلة علو والرذيلة جهل ، وهذا قول مشهور عن سقراط يدل على مبلغ إيمانه بالعقل وحبه للخير ، وإن كان فيه إسراف فما أجمله من إسراف! [7]

وعند أفلاطون (427ق م – 347ق م) تدور الأخلاق حول الخير الأسمى وتنقسم ثلاثة أبحاث رئيسة ، فهي تتجه أولاً إلي البحث في الخير الأسمى ، وتتجه ثانياً إلي تحقيق هذا الخير في جزئياته عن طريق الفضائل ، وهو ما يتحقق للأفراد ، وثالثاً تتجه إلي تحقيق الخير في الدولة أي السياسة.[8]

([5]) أحمد فؤاد اللاهوني : فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، ط 1 ، دار احياء الكتب العربية ، 1954 ، صـ 288

([6]) توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية – نشأتها وتطورها ، طار النهضة العربية ، القاهرة ، ط 2 ، القاهرة ، 1967 ، صـ 34

([7]) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، 2014 ، صـ 71.

([8]) عبد الرحمن بدوي : أفلاطون ، مكتبة النهضة المصرية ، 1943 ، صـ 210

ويري أرسطو (384 ق م – 322 ق م) أن الخير والسعادة هي كلها ألفاظ متعددة تهدف إلي غاية واحدة في الأخلاق اليونانية ، لذا يقول في هذا الإطار :" إن فعل الخير والنجاح وتحصيل السعادة كلها ألفاظ متعددة تدل علي معني واحد فحسب".[9]

وترى الأبيقورية [*] في أن اللذة هي الخير الأسمى وهي غاية الحياة السعيدة ، " وأن مقياس الخير هو اللذة ومفارقة الألم ، وهذا شيء لا حاجة لنا إلي البرهنة عليه ، فالطبيعة في كل أنواع سلوكها تكشف عنه ... فيكفي أن نشاهد سلوك الإنسان في كل أدوار حياته من ميلاده حتى الموت ، فإننا سنجد قطعاً أنه يرمي دائماً إلي تحصيل اللذة والابتعاد عن الألم".[10]

ويري الرواقيون[*] أن السعادة في الفضيلة ، وأن الحكيم لا يبالي بما تنفعل به نفسه من لذة وألم فلا يفرح بشيء ولا يحزن علي فقد شيء وذلك لأن الإنسان جزء من الكون ، وأن كل ما يقع في الطبيعة فهو يقع بتأثير العقل الكلي أو القدر ، ولذلك وجب علي الإنسان أن يجعل سلوكه مطابقاً لما تميله عليه الطبيعة ، منصرفاً عن العواطف والأفكار التي تجعله يحيد عن وضع القانون الطبيعي[11] ، ويتفق معهم في هذا الرأي شيشرون (106 ق م – 43 ق م) فيقول" ليست الفضيلة إلا الطبيعة مهذبة إلي أعلي درجة ممكنة من الكمال" إذن فالأخلاق عندهم معناها الطبيعة.[12]

أما الأخلاق عند ابن سينا (370هـ – 427 هـ) فهي :" الحصول علي الخير والسعادة في الحياة الدنيا وفي الآخرة ".[13] وعند الغزالي (450 هـ – 505 هـ) فيرى : " الخلق عبارة عن

([9]) عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفة (ج 1) ، مرجع سابق ، صـ 122

(*) الأبيقورية : نسبة إلي أبيقور وهو فيلسوف يوناني ولد حوالي 341 ق م، وتوفي حوالي 270 ق م، أسس المدرس الأبيقورية ، هاجر إلي أثينا ، واستثر فيها ودرس الفلسفة ، وتقوم هذه الفلسفة علي إسعاد الذات بلذة معنوية لا يقبها ألم . انظر : عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفة (ج 1) ، مرجع سابق، صـ 81 ، وأيضاً جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الجزء الأول ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 ، صـ 34

([10]) عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفة (ج 1) ، مرجع سابق ، صـ 81

(*) الرواقية هي مذهب فلسفي أسسه زينون (340 ق م – 263 ق م) ZENON وسموا بالرواقيين لأن زينون صاحب هذا المذهب كان يعلم تلاميذه في رواق . انظر جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الجزء الأول ، مرجع سابق صـ صـ 622 – 623

([11]) جميل صليبا : الموضع السابق

([12]) زكي نجيب محمود : فلسفة الأخلاق ، رابطة التربية الحديثة ، مجلد 3 ، الجزء 13 ، يوليو 1993 ، صـ 6

([13]) فتح الله خليف : المدخل إلي الفلسفة من وجهة الإسلامين ، دار الجامعات المصرية ، مصر 1982 ، صـ 12 .

هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلي فكر ورؤية .. وإنما اشترطنا أن تصر الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خُلُقُهُ السخاء والحلم ".[14]

وعند توماس هوبز (1588م – 1679) الفيلسوف الإنجليزي فيري : " أن الأخلاق هي العدالة " وهي ظاهرة اجتماعية وليست فردية " [15]، وعند سبينوزا (1632م – 1677) فيري أن الأخلاق :" أن الفرد يعيش في الطبيعة ويعمل وفق قانون الطبيعة الأعلى ، والفرد يحكم علي الطيب والخبيث حسب ما يملي عليه قانون الطبيعة الأعلى " ، ومن ثم فالأخلاق عند سبينوزا ذاتية فردية. ويتحدد المشروع الأخلاقي عند كانط (1724 – 1804) في الإرادة الخيرة فيقول : " لا يوجد شيء يمكن عدة خيراً علي وجه الإطلاق ودون قيد ، اللهم إلا شيء واحد هو الإرادة الخيرة".[16]

وعلي ما سبق فإن الأخلاق عند الفلاسفة على أنها دراسة معيارية للخير والشر تهتم بالقيم المثلى ، وتصل بالإنسان إلى الارتقاء عن السلوك الغريزي بمحض إرادته الحرة ؛ حيث إنها ترفض التعريف السابق القائل بأن الأخلاق ترتبط بما يحدده ويفرضه الآخرون ، وترى أنها تخص الإنسان وحده ، ومصدرها ضميره ووعيه .

أما عند رويس ففلسفته الأخلاقية تتركز حول مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة ، فقد أشاد رويس في فلسفته المثالية الخاصة به ولكن سخرها لمشروعه الديني الذي ركز فيه على مفاهيم فلسفة الدين من خلال بحثه عن مفاهيم المطلق وعلاقة الفرد بالجماعة ومفهوم الولاء والشك وغيرها من المفاهيم ، والتعبير الأول للمثالية الرويسية هي الترجمة بعبارات ما ورائية لاعتقاد رويس بكل أزلي ، مطلق إلهي ، حيث سنكون نحن الأجزاء ، وقد تلقى رويس هذا الاعتقاد من

([14]) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت ، جـ3 ، صـ 53

([15]) زكي نجيب محمود : فلسفة الأخلاق ، مرجع سابق ، صـ 7

([16]) إيمانويل كانط : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة عبد الغفار مكاوي ومراجعة عبد الرحمن بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1980 ، صـ 37

أمه والتي بالنسبة لها كان يعني : جماعة مسيحية، جسم متزهد للمسيح وحيث الناس هم الأعضاء.[17]

ويرى رويس أنه ليس هناك علاقة حتمية أخلاقية ، أي لا حتمية في الأخلاق ، فيستطيع الفاعل اختيار الشر أو تجنبه بأن يختار الخير ، وبالتالي لا تعارض بين قدرة الفعل الأخلاقي على تغيير العالم ، ومع وصف عالم المطلق بالكمال ، وبأنه العالم الوحيد الممكن وجوده ، وأن تطابق الفرد مع المطلق لا يكون بدون اختلاف وهذا ما نجده عندما تتحول أفعال التكفير من أفعاله الشريرة إلى خير ، وتتصالح إرادته ، كما لا يتعارض تأسيس الوعي الأخلاقي على التضاد بين "ما هو كائن "وبين" ما يجب أن يكون" ؛ لأن ما ينبغي أن يكون واقعا في النظام الأبدي ، إن عالم المثالية ذو نظام أخلاقي يكون لكل فاعل مكانه وواجبه وحريته وقيمته الفردية ويتحقق له ذلك بسبب وحدته بالوجود وبالله ، وتتصف أفعاله بالحرية ، لأن إرادة الله تعبير عن نفسها من خلاله بإعتبارها أساس حريته ، فالعالم كما فسره رويس" يتحقق من خلال الأفعال الحرة للإنسان سواء كانت خيرة أو شريرة أو تكفير".[18] وهنا نلمس الامتداد الكبير للفلسفة المسيحية في تفسيرها للأخلاق عند رويس .

إن القضية الأخلاقية عند رويس هي القضية التي تصف فعلاً ما بالإشارة إلي غاية ما ، وكل قضية من هذا القبيل " تنتمي إلي نظام " ، وتعتبر القضية الأساسية لكل نظام أو نسق أخلاقي غاية يعتبرها الشخص الذي يؤمن بها أو ذلك النظام غاية نهائية ، ومن اختياره الخاص وحده.[19] ومنها نجد أن رويس قد استخدم المنطق بمفهوم النظام أو النسق في تبرير الفعل الأخلاقي . لذلك فإن الأخلاق في نظر رويس لا تحتوي أفعال أخلاقية فقط ، بل وقضايا غير أخلاقية وأنساق لا تنتمي للأخلاقية ، حيث أن الشك نتيجة حتمية للموقف المثالي ، والعالم الأخلاقي يبدو عالما تسوده الفوضى ، وكل غاية يتم اختيارها لا يمكن قياسها نظرياً لأن الصراع

([17]) جيرار ديلودال : الفلسفة الأميركية ، مرجع سابق ، ص 256

([18]) المرجع السابق ، صـ 190

([19]) جوزايا رويس : الجانب الديني للفلسفة، نقد لأسس السلوك والإيمان ، ترجمة أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2009 ، صـ 112

بين الغايات هو صراع عملي ، ومن ذلك فإن الإنسان يعرف أن هناك انتصارا أبدياً لكل كفاح ، وفكراً أبدياً منهياً لكل شك ، وانتصار الإنسان ما هو إلا ذروة في الحقيقة المطلقة.[20]

ويري رويس أنه إذا كان الانسان لا يمارس الأخلاق إلا في عالم واقعي ، من حق الفيلسوف وواجبه أن يوضح من الناحية النظرية ما الذي يشكل حقيقة هذا العالم وأسس ضمان تلك الحقيقة ، ويجب أن نوجه اهتمامنا أولاً إلي المثل الأعلى وعلاقته بالحياة الإنسانية .. يجب أن نفترض بوجود كائن أخلاقي في عالم الحياة الإنسانية المحسوس ، ونفترض كذلك أن هذا الكائن لا يعرف شيئاً خارج دائرة الحياة الإنسانية وعلاقاتها ، ولا يعرف شيئاً عن أصله ومصيره أو عن علاقته بالطبيعة وبالله ، إذا كان مؤمنا بأن هناك إلهاً ولكن يدرك أنه يحيا وسط مجموعة من بني جنسه وعليه أن ينشأ ويطور علاقاته الإنسانية وأن يضع مثلا أعلي ، والسعي لتحقيقه لتستقيم حياته ، ثم عليه أن ينتقل إلي البحث في العالم الطبيعي ويتساءل عن كيف تكون علاقته بهذه الحاجات والمثل الأخلاقية ، وعندما يستطيع الإجابة عن هذا التساؤل تكون فلسفته الدينية قد أكتملت.([21])

فقد قدم رويس أدلة لوجود المطلق من خلال واقعية وجود الله المطلق في العقل بالأدلة المادية الواقعية ، فالكون له أله واحد موجود في كل زمان ومكان له مشيئة مطلقة لا متناهية ، لا أحد يشاركه في صفاته وذاته العليا والعباد هي مخلوقات لله علي حد سواء.([22])

([20]) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، ط1، 2004 ، صـ 184

([21]) جوزايا رويس : الجانب الديني للفلسفة، نقد لأسس السلوك والإيمان ، مصدر سابق ، صـ 39 ،40.

([22]) Josiah Royce ; Philosophical review , Longmans, Green and co, Lancaster, PA, New York , 1916, p.282.

طبيعة المثل الأخلاقية العليا The nature of moral ideals

رأي رويس أنه يجب علينا أن نشكل ونضع مثلاً أخلاقياً أعلى بمعزل عن أي تصور أو نظرية عن العالم الخارجي المحيط بالإنسان ثم يتساءل رويس عما إذا كان ذلك ممكناً ؟ وهل ترتكن كل نظرية أخلاقية في إثبات مصداقتها علي نظرية في الأشياء ؟ ..ألا يجب أن نقيم مثلنا الأعلى علي ما نعرفه ؟ .. أيمكن الحصول علي مثل أعلي أخلاقية واضحة ومتميزة إلا بعد معرفة الحقائق عن العالم ؟. وتكمن طبيعة المثل الأخلاقية العليا في الإجابة عن تلك الأسئلة .([23])

ويفرق رويس بين نوعين من الأخلاقيين : 1. **الأخلاقي الواقعي** وهو الذي يصر علي الذهاب الي العالم الواقعي ليستمد منه وسائل التميز بين الخير والشر. 2. **الأخلاقي المثالي** وهو الفرد الذي يبرهن علي وجود المثل العليا الخلقية بدون الاعتماد علي العالم المادي ، فالنسبة لوجهة نظر الواقعية يرون أنه علينا أن نذهب إلي الواقع لتستدل منه علي مفهومك عن الواجب ، فالأخلاق لابد لها من أساس من الواقع الطبيعي وتشتمل علي كل الحقائق التي يجب أن نعرفها عن هذا العالم ، أما الأخلاقي المثالي يري أن الأخلاق تعتمد علي المثل الأعلى المستقل تماماً عن الواقع مثلما تحدى " برومتيوس " " زيوس " ، فإذا كان من الصعب تحقيق الخير في هذا العالم الذي يعد أسوأ العوالم الممكنة فإن هذا لا يقلل من قيمة هذا الخير ، وإنما يجب علينا السعي لتحقيق المثل العليا ما دام ذلك في مقدورنا.([24])

ويتفق رويس هنا مع كانط الذي رأي أنه ثمة أمراً مطلقاً واحداً يتمثل في " لا تفعل الفعل إلا بما يتفق مع المسلمة التي تمكنك في نفس الوقت أن تصبح قانوناً عاماً ، وقد أورد كانط الأوامر الأخلاقية في كتابه " تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق " في ثلاثة أوامر بمثابة القواعد الأخلاقية المطلقة وهي كالآتي :-

1.أفعل كما لو كان علي مسلمة فعلك أن ترتقي بواسطة إرادتك إلي قانون عام .

2.أفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفعل أخلاقك غاية في ذاتها لا مجرد وسيلة .

([23]) المصدر السابق ، صـ 41 ،42.
([24]) المصدر السابق ، صـ 42.

3.أفعل بحسب المسلمة التي يمكن أن تجعل من نفسها قانوناً عاماً.([25])

فقد ميز كانط بين الفعل الأخلاقي والفعل الذي يصدر عن العواطف والوجدان فالفعل الذي يصدر عن الأهواء والميول وإن كان متفقاً مع الواجب ومستحقاً للثناء ، فإنه يخلو من الصبغة الأخلاقية علي عكس الأفعال الصادرة عن الواجب التي تتسم بالأخلاق .([26]) ومن ثم فإن الأخلاق عند كانط يجب ان تكون المثل الأعلى والأقرب في آن واحد ، ويجب أن يكون الناس متساوين جميعاً أمام الأخلاق ، ولما كان القانون الأخلاقي كلياً فيجب أن يكون مفروضاً من نفسه وبمعزل عن كل غاية مادية ينبغي تحقيقها.([27])

ويري رويس أن المذاهب الأخلاقية قد شهدت صراع بين هذه المثل والواقع ، وكيف واجهه سقراط السوفسطائيين لإزالة الشكوك والاعتراضات ، ثم جاء أفلاطون فطرد الأشباح والمخاوف التي وضعها سقراط ووضع أساساً مستقلاً لمثال العدالة ، وبالرغم من اهتمام أرسطو بالمسائل الأخلاقية إلا أنه لم يقل شيئاً ذا أهمية بالنسبة لهذه الصعوبات الأساسية ، بينما أعلن الأبيقوريون اعتمادهم في مذهبهم الأخلاقي علي الوقائع الطبيعية ، حيث أصبح تحقيق المصلحة الشخصية غايتهم الأساسية ، ثم جاء الرواقيون بفكر أخلاقي جديد يقترب من الفكر المسيحي في ثوريته إذا أقاموا مثلهم الأخلاقية العليا علي مبدأ المساواة الكاملة لكل الناس أمام العقل الكلي ورغم أنهم لم يحققوا فكرهم تحققاً عملياً في الواقع إلا أنهم مهدوا الطريق للفكر المسيحي.([28])

فقد جعل سقراط الأخلاق هدفه الأول وغايته القصوى ، وانحصرت مهمته في توجيه انتباه أتباعه إلي ضرورة إخضاع معتقداتهم وممارستهم العملية للنقد العملي ، في حين ارتبطت الأخلاق بالمعرفة عند السوفسطائيين ، فالمعرفة عندهم نسبية لأن مصدرها الحواس ، ومن ثم أنكروا وجود حقائق موضوعية مطلقة في كل زمان ومكان ، ورفع بروتاجوراس شعار " الإنسان

([25]) امانويل كانط : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة وتقديم : عبد الغفار المكاوي ، مراجعة د. عبد الرحمن بدوي ، منشورات الجمل كولونيا ، المانيا ، طـ 1 ، 2002 ، صـ93 وما بعدها .

([26]) د. محمد مهران رشوان : تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة العربية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998 ، صـ161.

([27]) اميل بوترو : فلسفة كانط ، ترجمة : عثمان امين ، تصدير. اتين جيلسون ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، 1971 ، صـ 303.

([28]) جوزايا رويس : مصدر سابق ، صـ 51-53.

مقياس الأشياء جميعاً " ، وأصبح الفرد مقياس الخير والشر ، كما كان مقياس للصواب والخطأ ، ولما كانت الحقائق في مجال المعرفة نسبية متغيرة فكذلك القيم الأخلاقية متغيرة بتغير الزمان والمكان وباختلاف الظروف والأحوال. بينما حاول أفلاطون منذ محاورته الجمهورية حتي محاوراته الأخيرة أن يشكل وجهة نظره وأفكاره عن الطبيعة والله والانسان ، واشتق منها مبادئه الأخلاقية ، وانتهي أفلاطون إلي البحث في القيمة الأخلاقية يجب أن تبتعد عن الحواس واللذات الشهوانية ويقتضي ذلك نظرة عقلية ، بينما نجد الأخلاق عند أرسطو علم عملي يبحث في أفعال الإنسان من حيث هو إنسان ، ويهتم بتقرير ما ينبغي عمله وما ينبغي تحقيقه لتنظيم حياة الموجود البشري ، ولذلك ارتبطت الأخلاق عنده بالسياسة وأصبحت الأخلاق عنده تهدف إلي تحقيق غاية ، والفضيلة والأخلاق ليست ممكنة لكل الناس ، وإنما للأغنياء فقط ، تعليم الفضيلة والأخلاق تعليم ارستقراطي يتمثل في أخلاق الأثيني الحر الذي يمتلك امكانيات الحياة الراقية.([29])

بينما أسس المسيح مذهبه الأخلاقي علي اللاهوت ، إلا أنه لم يجعل المتميزات الأخلاقية قائمة علي واقعة الثواب والعقاب الإلهي ، فلا يكون الفعل خاطئاً لأنه خارج مملكة السماء ، وطور المسيح هذا الجزاء الأخلاقي الذي لا يستند علي قدرة الله علي البطش ، وإنما علي المحبة والعطاء فازداد عمقاً واكتسب امتداداً ، فيعامل الله الانسان معاملة الابن المحبوب . والحقيقة أن أخلاق المسيح لم تؤسس علي نظرية لاهوتية فقط ، وإنما علي نوع من تبصر الفرد بواجبه الخاص وبضرورة مبادلة الحب الإلهي باعتبار الحب الإلهي أساس لكل الواجبات.([30])

وقد انتهي رويس إلي عدم كفاية أي مذهب طبيعي أو ميتافيزيقي لأنه يصلح أساساً للأخلاق ، ولابد من استناد النسق الأخلاقي علي مذهب أخلاقي بحت ، فالمذهب القائل بأن محبة الله لنا تعد أساساً للواجب مذهباً يستند بدوره علي مبدأ أخلاقي أعم منه وهو مبدأ وجوب رد الجميل والاعتراف بالفضل ولا يعد اللاهوت المسيحي أساساً لمثل هذا المبدأ.([31])

([29]) د. محمد مهران رشوان : تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة العربية ، مرجع سابق ، صـ 42 وما بعدها .
([30]) المصدر السابق ، صـ 53- 56.
([31]) المصدر السابق ، صـ 57.

ويتفق أوجست كونت مع رويس في رفضه أن تكون الميتافيزيقا أساساً للأخلاق ، في حين رأي أن تقوم الأخلاق علي أساس العلم الوضعي ، وبذلك تحقق صفاته الجوهرية بمعني أن تكون حقيقية تقوم علي الملاحظة لا الخيال ، والقول بأن الأخلاق وضعية أي أنها نسبية تؤدي إلي نتيجة مباشرة وضرورية ، والعلم الوضعي عنده امتداداً للعقل العام الذي يتسم بالدقة والإحكام.([32]) بينما يختلف كانط مع رويس في عدم كفاية الميتافيزيقا أن تكون أساس للأخلاق ، فقد رأي كانط أن ميتافيزيقا الأخلاق ضرورة لا غني عنها ، لا عن دافع من دوافع التأمل المجرد فحسب ، الذي يؤكد علي أن القواعد الأخلاقية موجودة في عقولنا وجوداً قبلياً ، بل أيضا أن الأخلاق قد تتعرض لألوان كثيرة من الفساد طالما أنها تفتقر إلي ذلك المقياس أو المعيار أو المثل الأعلى الذي لابد منه للحكم عليها حكماً صحيحاً ، والقانون الأخلاقي لا يمكن البحث عنه إلا في فلسفة نقية خالصة ، والفلسفة التي تخلط تلك المبادئ الخالصة بالمبادئ التجريبية لا تعتبر فلسفة أخلاقية ، لأن بهذا الخلط إنما تفسد نقاء الأخلاق وتتعارض مع الهدف الذي تريد هي نفسها تحقيقه.([33])

2.الغيرية والأنانية Altruism and selfishness

مصطلح الغيرية ليس حديثاً ، وإنما ترجع جذوره إلي الأبيقورية ، ولكن بمفاهيم ومصلحات أخري مثل المنفعة الذاتية أو اللذة الفردية ، وفي الفلسفة الحديثة ظهر بمصطلح المنفعة الفردية عند هوبز ، وقد صاغ سبنسر مصطلح الغيرية في كتابه " معطيات علم الأخلاق " عام 1884 م ووضع تحته المثل اليهودية والمسيحية الدالة علي القواعد الأخلاقية مثل "حب جارك كما تحب نفسك" ، و"الأنانية والغيرية " مصطلحان تقليديين يمكن تعريفهما علي أنهما دوافع إلي الاهتمام بالذات ودوافع الاهتمام بالآخرين ، يري سيسون أن الغيري مرادف للخير والأناني مرادف للسيء ، وأكد أن سبنسر اهتم بالسعي نحو تحقيق توافق بين الغيرية

([32]) ليفي بريل : فلسفة اوجست كونت ، ترجمة :د. محمود قاسم ، د. السيد محمد البدوي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ب. ت، صـ 98 .
([33])امانويل كانط : تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، صـ 27 ، 28.

والأنانية ، ووضع مبدأ عام أطلق عليه "الغيرية الخالصة" وانتهي إلي أن الغيرية لها تنوعات لا نهائية وهي في ذاتها ليست أخلاقية ، ولكنها جزء من المادة التي يصنع منها الأخلاق.([34])

وقد يطلق علي الغيرية الإيثار والتضحية ، والتضحية هي محاولة لإرضاء الأخرين ومثل هذا النوع من الرضا أو الإشباع هو ما نطلق عليه الغيرية ، ولا شك أن رفاهية وسعادة الأخرين لا يمكن أن يكون في نظر الإنسان الغيري مجرد وسيلة أداة لتحقيق سعادة الخاصة ، بل هي غاية في ذاتها يسعد لها.([35])

وقد رأي سارتر أن الأنا في صراع أبدي مع الأخر ، فكل طرف منهما يحاول امتلاك الأخر ، والأخر هو الموت المتحجب لإمكانياتي ، فليس هناك إمكانية لإقامة حوار بين الأنا والأخر لأن الأخر بمثابة الجحيم للأنا ، وأي محاولة لن تكون سوى صراع وليست حواراً ، كما يري سارتر أن الغير يترصدني ، وإذا رأيت موقف المستعد لكل شيء ويده في جيبه حيث يوجد سلاح واصبعه موضوعاً علي الجرس الكهربائي ، ومستعداً لتبليغ الحارس عند أول حركة تبدر مني ، والهزة التي تحركني حين أدرك نظرة الغير تُحدث فجأة استلاباً لطيفاً لكل ممكناتي المرتبة بعيداً عني في وسط العالم.([36])

رأي رويس أن الغيرية والأنانية من المشكلات الأساسية للنظرية الأخلاقية والتي تناقش الأساس الصحيح للتميزات الأخلاقية والعلاقات الأخلاقية الأخرى ، فإذا كان هناك أساس يؤسس الوعظ الخلقي القائل بأنه يجب عليك أن تحب جارك كما تحب نفسك .. ومن ثم يجب دراستها من خلال الجدل الدائر حولها ومن خلال إجابات فلاسفة الأخلاق المعاصرين ، وهناك محاولتين لحل هذه المسالة :

المحاولة الأولي : لدي أصحاب الاتجاه الواقعي من الأخلاقيين ، حيث أن افتراض الهدف الأناني في البداية ، ولكن الهدف الغيري قد يكون ملازماً له ، ورأي أصحاب هذا الاتجاه أنه بداية من "هوبز" وحتي الآن أن الغيرية ما هي إلا أنانية معدلة هذبتها ثقافة التنوير ، ولكن قد

([34]) Edward O. Sisson: Egoism,Altruism,Catholism.A Note on Ethical Terminology ,The Journal of Philosophy, Psychology and scientific Methods,Vol.7,No.6,(Mar.17),Journal of philosophy ,1910, p.158-159.

([35]) زكريا ابراهيم : المشكلة الخلقية ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1975 ، صـ 94.

([36]) جان بول سارتر : الوجود والعدم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، طـ 1 ، 1966 ، صـ 443.

يوجد اعتراض من البعض بأن الغيرية الحقة غير موجودة أو باتت مستحيلة ، ومن ثم فلا زالت الحاجة لحكم ينهي الصراع.([37])

فقد رأي هوبز أن جميع الدوافع الإنسانية تهدف إلي حب الذات والمصلحة الفردية في المقام الأول ، حتي أن أولئك الذين يفعلون الخير للأخرين هدفهم حب الذات عن طريق اعجاب الناس والتفاخر والتباهي ، ومن ثم فإن الإنسان أناني بفطرته لا يفكر إلا في نفسه ، وما يجلب إليها الخير ويدفع عنها الشر ، كما تأثر بفطرته عن الاجتماع بغيره متطلع إلي طلب الأمان ، يهدف بتصرفاته إلي حفظ حياته وتحقيق لذاته.([38])

المحاولة الثانية: من جانب المثاليين الذين ردوا الغيرية الي بعض الدوافع كالشفقة والتعاطف، ظناً منهم بأن ما يميله الباعث الأخلاقي يكون محدداً وواضحاً بذاته ، وليس غامضاً مجرداً كما هو حالة أوامر الضمير، وقد يوجد اعتراض بأن كل أحكام الشعور أحكام رغبة وما الشفقة والتعاطف إلا مشاعر خادعة ومشوشة ولا تحقق البصيرة الخلقية ، ولا يمكن تأسيس مثل أعلي علي هذه الوقائع المتغيرة ، وإذا كان من الممكن الشك في نتائج مثل هذه الانتقادات فان المذهب الشكي الذي نُصر علي التمسك به يعد أساساً ضرورياً للأخلاق.([39])

ويفسر رويس إشكالية العلاقة بين الغيرية والأنانية ، فربما تتحول الشفقة إلي كراهية ذاتية لمنظر المعاناة والآلام ، بل قد لا تتوقف عند هذا الحد فقد تتحول الشفقة لا إلي احتقار آلام الأخرين ، وإنما إلي الشعور بمتعة حقيقية من وجود الأحداث التي تسبب الألم والمعاناة لهم ، وربما تطرب قلوبنا للشعور بأهميتنا بوصفنا أصحاب قلوب رحيمة وعطوفة ، بل وقد نشتاق ونتمنى إصابة بعض معارفنا حتى نجد الفرصة لعونهم ونتظاهر بالبطولة والقدرة علي تحمل الأحزان التي لا نشارك ولا نشعر بها علي الاطلاق ، والحقيقة أن هذه المرحلة الثانية من الشفقة والأنانية يصعب الشفاء منها مقارنة بالأولي ، فربما يمكن التغلب علي الهلع من منظر الألم

([37]) جوزايا رويس : مصدر سابق ، صـ 67 ،68 .
([38]) توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية ، نشأتها وتطورها ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، طـ 2 ، 1967 ، صـ 180 .
([39]) جوزايا رويس : مصدر سابق ، صـ 68.

بالتدريب الملائم ، أما الحب الأناني لدور المعين فإنه ينمو ويرتبط بالإحساس بأهميتنا الشخصية.([40])

وهكذا ينتهي رويس إلي أن عاطفة التعاطف ليست عاطفة غيرية ، بل هي عاطفة أنانية ، ولذا لا يتغلب التعاطف علي الأنانية ، إنما يدعمها ويغذيها في معظم الأحيان ، ولا يمكن الثقة في عاطفة كهذه حتي تسند إليها عمل الحدس الخلقي ، لذلك مادامت الشفقة تؤدي إلي الأنانية.

3.الشك الأخلاقي والتشاؤم الأخلاقي: Moral doubt and moral pessimism

يري رويس أن المذهب الشكي أو الشك المطلق في أساس الأخلاق يفرض نفسه علينا. فيجب مواجهته ودراسة نتائجه ، وهذا النوع من الشك يمكن أن نجده السبب الحقيقي لقوة المذهب التشاؤمي الحديث ، فلا نجد الأساس الحقيقي لليأس في تحقيق المثل العليا التي تكون قد اخترناها ، وإنما في ترددنا المستمر وحيرتنا عند اختيار هذه لمثل العليا نفسها.([41])

حيث يري أنصار تلك النزعة أن كل الادعاءات الأخلاقية باطلة ، وعدم التمسك بأي اعتقاد أخلاقي جوهري ، ويتفق بارفت مع رويس في رفضه لمذهب الشك الأخلاقي ، وذلك من خلال دحضه لهذا المذهب وتقديم حجج أخلاقية في مقابله ، حيث أن هذا المذهب يفتقر إلي الموضوعية وتقودنا إلي حالة من التناقض وعدم الترابط المنطقي والنسبية ، وأنصار هذا المذهب لديهم معتقدات أخلاقية لا يشكون فيها ، ولديهم أسباب أخلاقية للإيمان بتلك المعتقدات ، إلا أنهم رغم ذلك يؤكدون أنه لا توجد أخلاقية موضوعية ، ومن ثم فيجب رفض مطالب أصحاب مذهب الشكاك حتي يصبحوا جزء من نسيج هذا الكون.([42])

وقد ربط رويس بين التشاؤم واستخدام العاطفة والرومانسية ، ويتضح ذلك في قوله " ومن الواضح أن هذه النظرة الشاملة للحياة لا تحقق للإنسان المخلص الهدوء والسكينة وماذا تكون هذه السخرية أو ذلك التهكم ، إلا سخرية الشياطين علي الضعيف اليائس للشخصية الانسانية ؟ فالعاطفة التي نعبدها تحولت إلي مصدر لمصائبنا.. ان ما نشعر به الآن ليس ذلك الإحسان

([40]) المصدر السابق ، صـ 93.
([41]) المصدر السابق ، صـ 97.
([42]) Derek Parfit : Reasons and persons, oxford, clarenden, oxford university press,british libarary ,library of congress,1984

الذي كانت قد تفجرت ينابيعه في أعماق أعماقنا ... فلا حياة هناك ، وإنما أقنعة كثيرة ولا شيء ثابتاً حقيقياً خلفها وتغير دائم لا معني له.([43])

ويحاول رويس الخروج من هذا التشاؤم بالابتعاد عن العواطف الزائفة والمشاعر المصطنعة ، والاهتمام بالعمل يقول : ان هذا التشاؤم المنكب علي ذاته والناتج عن تحليل الرومانسية لذاتها، يعبر عن التصميم عن إقامة عالم جديد ، كون أكثر نبلاً من عالم الأهواء السلبية ، وليست العبرة بالمشاعر إذا كان التمرد يمكننا من تحمل الموت ، فلماذا لا يؤدي بالقيام ببعض الأعمال إلي جعل الحياة محتملة بل بالأفعال .. ألا تكون قيمة الحياة في العمل وليست في العاطفة أو الشعور.([44])

ويتفق بليز باسكال مع رويس في أن الإنسان يمتلك عواطف وأحاسيس كاذبة ، ولا يمكن للإنسان أن يعرف الحب ، ولكنه اخترعه لتقليص قوة شروره واخضاعها لقوانين قام بسنها في انظمة وسياسات ، يقول باسكال :" ان الانسان لغز غامض ومخلوق مخادع يمتلك أخلاق مصطنعة وكاذبة ، فكل الناس بطبيعتهم يكرهون بعضهم البعض والانسان من كثرة شروره انشئ مفهوم الحب ووضع القوانين والدساتير الاخلاقية ليسيطر علي شروره ، وكل ذلك نوع من الزيف ، وليس لنا الا الله للخلاص من كل هذه الشرور".([45])

ويري رويس أن الأخلاق لا تشمل قضايا أخلاقية فحسب ، بل وقضايا غير أخلاقية وأنساق لا تنتمي للأخلاقية أيضا ، فإن التميز الخارجي بين هذه التقسيمات والقضايا ليس أساسياً وليس لها أهمية فلسفية .. فالشك نتيجة حتمية للموقف المثالي ، والعالم الأخلاقي يبدو عالماً تسوده الفوضى ، وكل غاية يتم اختيارها يكون لها وجهة نظرها الخاصة في تصنيف الأفعال إلي حسنة وسيئة ، ولكنها لا تسطيع أن تثبت أنها أفضل الغايات من الناحية النظرية ، فالصراع بنيهما صراع عملي ، ولا يقوم بينهما حواراً عقلياً ، وإنما يقوم علي تبادل اللعنات فلا يقدمان أدلة

([43]) جوزايا رويس : مصدر سابق ، صـ 102.
([44]) المصدر السابق ، صـ 107.
([45]) عبد المجيد رمضاني : الفكر الاخلاقي في فلسفة ليبنتز ، منشورات الانيس للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2022، صـ 66.

أو براهين ، بل لعنات وأحكام تعسفية ، وهذا التفكير في مثل هذه الفوضى هو ما دفع رويس إلي دراسة التشاؤم.([46])

4. البصيرة الخلقية Congenital insight

البصيرة Insight هي قوة الإدراك والفطنة ، وهي أيضا قوة خفية أو ملكة وهبها الله للإنسان يدرك بها الحقائق والجوانب الخفية للأشياء ، وهي غير الحدس ، وعرفها رويس علي أنها درجة معينة من المعرفة تمكن من إدراك مجموعة معينة من الوقائع ودمجها في كل واحد ، وتربط بينا وبين تلك الوقائع بعلاقة وثيقة ، والإنسان بدون تلك البصيرة الخلقية لن يمارس الخيرية عن وعي ما دام أنه مسجون في إرادته الفردية ، حيث أنه لا يمارس الخيرية عن قصد ووعي واضح بها ، فقد يمارسها بصورة غريزية معتمداً علي التقاليد التي غالباً ما تكون غامضة ، وقد يعتمد علي الضمير الذي غالبا ما يكون متميزاً أو قاسياً وعلي إيمان غامض أو عاطفة التي تعد أسوء أنواع الإرشاد.([47])

رأي رويس أن البصيرة الأخلاقية تنفذ إلي معرفة إرادة الأخر وتعتبرها إرادة قائمة بذاتها ، ومن ثم تعيد بناءها وتكرارها في سريرتها ، وتعطي لنا وضعاً أعلي فوق الصراع بين الذات والأخر.. فالبصيرة ليست شفقة أو تعاطفاً ، بل هي شيء مختلف تماماً شيء يتعلق بإدراك إرادة الجار وتوليد صور طبق الأصل لها في باطننا وعقولنا ، ولذلك تجرد هذه البصيرة كل إرادة منعزلة من قيمتها ، وتأمر كل منا بأن يرغب لجاره ما يرغبه لنفسه ، إنها لا تقول فقط " أحب لجارك ما تحب لنفسك " ، بل تقول " اسلك كما لو كنت أنت وجارك شيئاً واحداً وأنظر إلي حياتكما ، كما لو كنت تنظر إلي حياة واحدة".([48])

وتتضمن البصيرة الخلقية عند رويس في عدة نقاط :-

1. البصيرة الخلقية تتمثل في إدراك الطبيعة الباطنية الحقة لإرادتي متعارضة معينة كائنة في هذا العالم بالفعل .

([46]) المصدر السابق ، صـ 112،113.

([47]) هبة عادل العزاوي : فلسفة المدينة الفاضلة وواقعية الفلاسفة المعاصرين ، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، طـ 1، 2016، صـ 44.

([48]) جوزايا رويس : مصدر سابق ، صـ 126.

2.البصيرة الخلقية المطلقة تستطيع أن تدركها ولا تستطيع الحصول عليها كاملة ، سوف تدرك الطبيعة الداخلية الحقة لكل الإرادات المتصارعة في العالم.

3.تتضمن البصيرة الخلقية بطبيعتها الرغبة في تحقيق الانسجام بقدر الإمكان بين الإرادات المتصارعة والكائنة في العالم ، والتي يتم إدراكها في لحظة البصيرة.

4.إذا كانت البصيرة تهتم مباشرة بإرادتين متعارضتين مثل إرادتي وإرادة جاري ، فإن هذه البصيرة تتضمن الرغبة في الفعل ، كما لو كنت أنا وجاري كائناً واحداً يحوي رغباتنا نحن الاثنين معاً.

5.إذا كانت البصيرة الخلقية تهتم بغايات عامة متصارعة تعبر عن نفسها في أنماط من السلوك ، فإنها تتضمن الرغبات المتعارضة وتحوي في هذه الرغبات ضمن وجود الفرد الخاص.

6. تتضمن البصيرة الخلقية الرغبة في الفعل وتضع في اعتبارها كل نتائج الفعل علي كل الغايات التي قد تتأثر بهذا الفعل.

7.تعارض البصيرة الخلقية كل صور الدجماطية الأخلاقية التي تقول بغاية أخلاقية واحدة فقط.

8.هناك بديلين وحيدين للبصيرة الخلقية هما :

أ. المذهب الدجماطي الأخلاقي الذي يرفض تماماً كل محاولة لوضع أساس للأخلاقية غير رغبته الخاصة وغير المنطقية.

ب. المذهب الشكي الأخلاقي وهو بمثابة الصيغة أو الصورة الأولية للبصيرة الخلقية والتي يتم الانتقال منها بالتأمل لتحقيق البصيرة كاملة.

9. لا يوجد هناك وسيلة للتميز بين الصواب والخطأ إلا ما تقول به المذاهب الدجماطية بوصفها الغاية الأخلاقية الوحيدة من ناحية وما تقول به البصيرة الخلقية من ناحية أخري.

ويؤكد رويس أن النتيجة التي توصل إليها هي أنك تظل علي ضلالك، ولكن إذا أردت معرفة كل الحقيقة الأخلاقية فلن تجدها إلا في البصيرة الخلقية.([49])

([49]) المصدر السابق ، ص، 138 ، 139.

وعلي كلٍ : فمثلما جاءت مثالية " رويس" مجددة للدين ، جاءت مجددة للأخلاق أيضا ، فنبتت الأخلاق من وسط فوضى المثل العليا ، التي سادت الفكر الفلسفي في القرن التاسع عشر ، ومن جوف التشاؤم وظلام الشك نبتت البصيرة الخلقية التي ترشد الإنسان نحو الخيرة ، وتحقيق أكبر قدر من الانسجام والوحدة بين الأفراد ، وبين الغايات الأخلاقية المتصارعة ، فالشك أول مراحل البصيرة الخلقية التي ترشد الإنسان إلي واجباته ، وإلي مهمته في الحياة علي وجود العقل الكلي الشامل لكل شيء والإرادة الكلية الخيرة .

المبحث الثاني : الحرية الأخلاقية عند جوزايا رويس :

إن النسبية السوفسطائية التي تمثلها عبارة برتاجوراس" الإنسان مقياس كل شيء" جعلت من الفرد المواطن مركز الدولة ، فليس هناك نظام ثابت ، أو دستور ثابت يحترمه الجميع ، فكل فرد حر في أن يقدم المشورة التي يريد ، ومن ثم فليس هناك نظام سياسي حسن بطبعه أو سيء بطبعه ، فالمواطن هو الذي يضع النظام ، والمواطن هو مقياس الحكم عليه[50]، إلا أنهم لم يدركوا أن الحرية في هذا المعني تنافي الحرية بمعناها الحقيقي ، وذلك لأنهم حينما حرروا الفرد من القيود الخارجية – حرروه من الأخلاق – أوقعوه فريسة للقيود الشخصية والنوازع الشهوانية الذاتية ، فاعتقدوا بأن إشباع النوازع والنزوات واللذات نوع من الحيوية والشجاعة والنشاط من دون أن يدركوا أن هذا مرض في الضمير لأنهم لم يرجعوا في طريقة تأملية إلي نفوسهم ويفكروا ويختبروا مكنوناتها.[51]

وقد ظهر الاتجاه التوفيقي في الأخلاق بين المثالية والبرجماتية بالرغم من وجود فرق بينهما في مجال الحكم على الفعل الأخلاقي ، فالخير عند المثاليين يتطابق مع الوجوب ، وعند البرجماتيين يتطابق مع النتائج ، ويربط "رويس" الأفعال الخيرة والشريرة بآثارها عن العالم سواء عالم الفرد أو العالم ككل. فيستطيع الفرد أن يجعل عالمه أسوء أو أفضل طبقا لانتباهه للواجب السابق معرفته ، فإذا جاء الانتباه للواجب جاء عالمه أفضل أو أسوا ، فيتضح هنا الربط بين

([50]) لطفي عبد الوهاب يحيي : اليونان – مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1991 ، صـ 250.

([51]) محمد بدوي : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، دار المعارف ، مصر ، 1997 ، صـ 38 .

الواجب والنتيجة ، فالواجب سابق النتيجة.[52] وقام بتفسير الحرية الأخلاقية ، أي أنه ليس حراً من اختار أو رفض وجود الآخرين ، ونجد هذه الآراء الرومانسية والوجودية في موقف رويس من "الخطيئة" ، وان كانت مسؤولية الفرد ليست قاصرة على أفعاله ، فيقوم بصبغة الآراء الوجودية صبغة فلسفية ، فيقترب من الاتجاه الوجودي المؤمن ، ومثلما كان المطلق يعاني مثلما يعاني الإنسان ، فان رويس يصبح من أنصار الشخصانية.

يرى رويس أن النظام الأخلاقي يعتمد على الاعتراف بوجود النفوس الفردية ، وقدرتهم على فعل الخير أو الشر طبقا لوجهة نظرهم ولإرادتهم الحرة ، ويتحقق التقدم في النظام من خلال قيام الإرادة الفردية بواجباتها . فإذا كان العالم تعبيرا فرديا عن هدف المطلق ، وهدف المطلق مركب ، فإن وحدته هي وحدة إرادات عديدة تجد كل منها تعبيرها في حياة فردية ، وهنا يطرح رويس مجموعة من الأسئلة وجدنا أنفسنا مضطرين للإجابة عنها وهي: هل هذا العالم بأوصافه يحقق مطالب النظام الخلقي والوعي الأخلاقي ؟ ألا يكون النشاط الأخلاقي ظاهرة عرضية في ظل وحدة العقل والطبيعة ؟ هل توجد حتمية أخلاقية ؟ وهل يمكن التوفيق بين المعرفة الإلهية السابقة والإرادة الحرة للإنسان؟ [53]

وفي عرضة للإشكالية الأخلاقية ، وجه "رويس "النقد للأخلاق الواقعية ، التي تستنبط المثل من الواقع أو من المجتمع ، فالمجتمعات عديدة ومتعددة ، الأمر الذي يؤدي إلى تضارب المثل العليا ، كما أنه وجه نقدا للمذاهب المثالية التي تستنبط المثل من الذات أو الطبيعة الإنسانية ، وتطلب من الواقع الخضوع لها ، الأمر الذي يؤدي إلى اختلاف المثل وتضاربها ، لأنها تنبع من إرادات متعددة ، وهي محاولة من رويس لأن يمهد لظهور الشك التي تم الخروج في النهاية بالحدس الأخلاقي ، فقد يستمد المثال من الواقع ، لكنه يستطيع تجاوزه ويسعى إلى تصويره وتغييره ، حيث جاءت معالجة رويس للأخلاق المثالية تسير في تيار المثالية الألمانية خاصة الفلاسفة بعد كانط "kant، حيث تشبه آراء "هيجل "Friedrich Hegel بصورة عامة و"فشته"

([52]) أحمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق ، صـ 200

([53]) المرجع سابق ، صـ 185

Fshth و" شوبنهور" بصورة خاصة. ولئن كان مذهب رويس الميتافيزيقي في الشر أو نظريته المثالية بصورة عامة تشبه آراء هؤلاء الفلاسفة ، إلا أنه وصل إليه بمنهج مختلف ، فلم يتخذ "رويس" التجريد والمذهب التأملي منهجا ، بل اتجه إلى الخبرة الإنسانية الواقعية أو الشعورية داخل الوعي ، ليبين ضرورة وجود الشر داخل الخبرة الخيرة ، وانطلق من الوعي الفردي إلى الوعي المطلق ، ولم يقدم رويس نقده للمذاهب الأخلاقية السابقة لكي يقضي عليها ، بل خرج بمذهب يتألف منها ويشملها جميعا ، فالبصيرة الخلقية تحقق الانسجام بين المذاهب الأخلاقية المختلفة ، وتشملها جميعا ، وبذلك يتطابق المنهج مع المذهب.[54]

ويرى رويس أن عالم المطلق الذي يشمل كل شيء لا يمكن أن يحدده أي شيء خارجه ، ويكون حرا بهذا المعنى ، ومع ذلك فكل الأحداث تحدث في نظام مطرد ، فليس هناك شيء من عناصر المصادفة ، أو حدوث شيء عرضا في الطبيعة ، كما تستمر في الزمان ، وهكذا يكون "رويس" فيلسوفا حتميا ، فالعالم كما يوجد هو تعبير عن الإرادة الأزلية للمطلق. فرويس من أنصار "الجبر الذاتي" بالنسبة لموضوع الحرية البشرية أفعالنا ، ونكون بالنسبة لها أحرارا ومسئولين أخلاقيا ، إن لكل منا فرديته الفردية الخاصة ، وله قيمته الخاصة بالنسبة لله ، ولا يمكن لأحد منا أن يحل محل الآخر ، ونحن عندما تكون مدركين لهذا التفرد كما ندرك قيمنا الخاصة ونكون ملهمين بسبب ذلك وبالتالي فنحن أحرار ، وعندما لا نفعل ذلك نقع في العبودية ولقد اعتقد سبينوزا Baruch Spinoza أن الناس يكونون مستعبدين وغير أحرار طالما أنهم ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مجرد حلقات في سلسلة الأحداث المؤقتة ، لكن طالما أنهم يستطيعون تجاوز الزمان ، وينظرون لأنفسهم بمنظر أزلي ، وينشغلون بالحب العقلي لله فإنهم هنا يكونون أحرارا ، إلا أنه يشيد كثيرا على القيمة الفردية للأفراد " [55]. ويجعل الله يشارك في كل حياتنا الواعية ، ويدركها مباشرة بطريقة أكثر تعاطفا ، وهو ما وضحه رويس" من خلال معالجته المشكلة الشر.

([54]) Jasiah Royce: The deligous aspect if philosophy (1885) Gloucester ،mass peter smith 1965 , p 197

([55]) وليم كلي رايت : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة محمود سيد أحمد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010 ، صـ 474 .

وذهب رويس إلي أن أفكار سبينوزا الدينية تشبه الأفكار التي وردت في كتاب" محاكاة المسيح".. إذ يري أن الموضوعات لا تكون شريرة أو خيرة إلا بسبب العقل لأنها تستمد قيمتها منه ، ولذلك بدأ يبحث عن ما إذا كان هناك شيء يمكن أن يؤدي إلي السعادة ؟ واكتشف أن كل شرورنا تنبع من محبتنا لأشياء أرضية زائلة ، وما علينا إلا أن نحب الأبدي الذي لا يزول . ويحاول رويس من خلال تناوله لفلسفة سبينوزا إثبات أن كل عصر مهما كانت ثمته الفكرية لا تخلو من الاهتمام الروحي ، فقد كان سبينوزا أول من وضع لبنة المثالية الموضوعية في الفلسفة الحديثة ، وأول من قال بالجوهر الواحد الذي يتجسد في المادة والروح.([56])

ويمكن الزعم بأن مثالية رويس عالجت الكثير من الموضوعات التي كانت مصدر إشكال لكل من الفلسفة والدين بوجه عام ، وللدين المسيحي بوجه خاص. فقد نتج عن فلسفة كانط النقدية في القرن الثامن عشر أن أصبحت فكرة " الله " و " النفس" و "حرية الإنسان" و"الخلود" من مصادرات أو مسلمات العقل العملي فقط وخارج حدود العقل النظري ، الأمر الذي سبب مشكلات حقيقية للديانة المسيحية . فقد رأي كانط أن العقل العملي تخضع له كافة الكائنات الحية الحرة لأنه هو العقل القادر علي تحديد مفهوم الحرية ، فهو يعتبر هذا الخير يمنح للإرادة التي تدعمها الأخلاق ، ومن ثم تنتهي إلي الإقرار بوجود الله وبخلود النفس والحرية.([57]) واستخلص كانط من نظريته الأخلاقية بعض الأفكار مثل النية والواجب والشخصية والاستقلال الذاتي للإرادة ، وتصوره للحرية علي أنها أقوى تأثيرا ، بل إن حرية الإرادة تمثل أساسا لحياتنا الأخلاقية ، ووضع القانون الأخلاقي خارج كل التحديات المادية.

كما جاءت الفلسفات المثالية بعد كانط لتعالج المشكلات الفلسفية التي انتجت عن فلسفته ، فردت كل شيء إلى الأنا عند "فشته"، ووجدت الأنا واللاأنا عند "شلنج" ، وجعلت المطلق شامل لكل شيء عند هيجل وشوبنهور، فقالت بالمثالية الواحدية. ولئن وجدت المسيحية في هذه المثالية القائمة على الوعي بالذات ، وتأكيده فكرة الله ، دعما لأفكارها فإنه من الملاحظ أيضا عند النظر إلى تاريخ

([56]) جوزايا رويس : روح الفلسفة الحديثة ، ترجمة د. أحمد الانصاري ، مراجعة د. حسن حنفي ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة العدد 468 ، ط 1، 2003، صـ 10.

([57]) جيل دولوز : فلسفة كانط النقدية ، ترجمة أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، 1980،صـ49.

الفلسفة أنه قد نتج أيضا عن فلسفة كانط النقدية ازدياد النزعة الشكية ، طالما أن " الشيء في ذاته لا يمكن معرفته ، وتظل مسائل الدين خارج حدود العقل ، أو أن العقل لا يستطيع الحكم عليها".[58]

ويتجه رويس لتأكيد الاتجاه الديني للفلسفة الحديثة ، ويسعي لتصحيح مقولة أنها فلسفة علمية ، وأن الاتجاه الديني جزء بسيط منها ، ويري أن كانط لم يبتعد عن هذا الاتجاه الديني ، والشائع عن كانط أنه في نقد العقل الخالص هدم الإيمان ، وفي نقد العقل العملي استبدل الأخلاق بالدين ، وفي الدين في حدود العقل إلي مسلمة .. ويري رويس أن كانط فيلسوف مؤمن بالرغم من نزعته العقلية وبيان لحدود العقل ورفضه للأدلة العقلية علي وجود الله ، ولما كانت المثالية الألمانية امتداداً لفلسفة كانط ، وتناولت فلسفته بالتعديل والتطور ، فقد جاءت في أعماقها فلسفة تبحث عن الحقيقة الدينية ، وأن هناك من يري أن كانط قد غير آرائه واعترف في نهاية حياته بالله والخلود والحرية خوفاً من السلطة أو متعاطفاً مع العامة ، والحقيقة أنه لم يغير آرائه التي وردت في كتابه " نقد العقل الخالص" ، وإنما بني ديناً جديداً وضحت معالمه لدي المثالين من بعده.([59])

المبحث الثالث : علاقة الولاء بالأخلاق عند جوزايا رويس :

1.الولاء لغة واصطلاحاً:

•الولاء في اللغة

جاء في لسان العرب : الولاء اسم مصدر من والى، يوالي، موالاة ، وولاء، و المولاة : " أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ، ويكون له أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه . ووال فلان فلاناً إذا أحبه . والمولى : اسم يقع علي جماعة كثيرة فهو : الرب ، والمال ، والسيد ، والمنهم ، والمتق ، والناصر ، والتابع، والجار، وابن العم ، والحليف ، والعقيد ، والصهر، والعبد ، والمنعم عليه ، وكلها تقوم علي النصرة والمحبة.[60]

([58]) Josiah Royce: The Conception of God, Machmillan, 1894 , p 174

([59]) جوزايا رويس : روح الفلسفة الحديثة ، مصدر سابق ، صـ 17.

([60]) ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق (ج3 / 985 – 986) وانظر أيضاً الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، دار الرسالة للنشر، الطبعة الثامنة (4/ 294)، وانظر أيضاً محمد بن سعيد القحطاني: الولاء والبراء في الإسلام، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، صـ87.

•الولاء في الاصطلاح

الولاء هو النصرة والمحبة والإكرام والاحترام ، يدخل الولاء أيضاً في عمل الشركات ، لذلك ظهر مصطلح الولاء المهني والتنظيمي ، ويعتبرون الولاء منهج وطريق حياة بالنسبة للشركات التي تسعى إلى تأسيس قاعدة صلبة من العملاء ، فتتجه خدمات الشركة إلى هذه القاعدة ، وتسند إليها مشروعات الشركة وإنجازاتها لذا فمعدلات الاحتفاظ بالعملاء ليس أرقاماً فارغة ، بل هي المعيار الذي يكشف مستوى الأداء.[61]

الولاء هو محاولة لإعلاء من شأن قيمة الفلسفات الداعية للوحدة البشرية المناضلة في سبيل تحسين السلوك الإنساني وتعديل مزاجه في تعاملاته مع الأخرين ، وبناء مجتمع أخلاقي قوامه التسامح والتعايش وقبول الأخر وفتح نوافذ الحوار واحترام خصوصيات الغير بقدر يسمح باستيعاب فكرة أننا نتشارك ذات المصير في هذا العالم الذي شوهته أنانية البشر وأفقدت جماليته الطمع المستبد والنفوس الساعية لتحقيق مجد مصطنع يشبع غرور البشر ويزيدهم استعلاء وقوة ، إن فكرة الولاء المشترك لا يعني قتل روح التميز والتفرد في مقابل الانتصار لفكرة التواري والانزواء تحت مظلة الجماعة المعتمة ، إنما هو دعوة لخلق أسباب التنافس النزيه ، ورد الإنسان إلى طبيعته الخيرة التي جبل عليها في محاولة لإنقاذ المجتمع الإنساني الآيل للزوال ، ومعالجة روحه المريضة التي أرهقتها الصراعات من أجل القوة والجدارة في عالم يقصي الضعفاء ولا يعترف إلا بمنطق المنافع الشخصية ، وذلك كله بهدف بناء مجتمع حضاري يعطي للبعد الأخلاقي والقيمي والجمالي اعتبار في تكوينه لرؤية كونية عالمية مشتركة.[62]

فقد بات الولاء إحدى القيم الأخلاقية التي يطالب الفرد بالتمسك بها ، وبالرغم من ذلك دائماً ما يثير مفهوم الولاء مشكلات كثيرة ، منها ما يتعلق بطبيعته الخاصة ومدى الحاجة إليه ، وما إذا كان فطرياً أو مكتسباً ، ومنها ما يختص بأنواع الولاء وصفات القضايا التي يتم الولاء لها ، وأخيراً منها ما يرتبط بما يسمى بتعارض الولاءات والصراع بينهما ، ومع تطور المجتمعات

([61]) عامر عبدالله فالح: معجم ألفاظ العقيدة، مكتبة العبيكان ، الرياض ،ج 1، 1417هـ، 1997م ، صـ443.

([62]) جوزايا رويس: فلسفة الولاء، ترجمة احمد الأنصاري، ترجمة أحمد الأنصاري ، مراجعة حسن حنفي ، المشروع القومي للترجمة ، 2002 ، القاهرة، صـ5.

وتشعب العلاقات بين أنظمة المجتمع ، أكتسب مفهوم الولاء أهمية كبرى لعلاقته بتماسك المجتمعات وتطورها ، وظهرت أهمية مراجعة القيم الخلقية لمواكبة هذا النمو والتطور.[63]

إن سر الولاء يكمن في شعور الفرد في عمق وجدانه بأنه لا يستطيع العيش وحده فريداً في هذا الكون الفسيح يريد أن يجد أخر يتحد معه فإذا ما وجد هذا الآخر تمسك به وأخلص له ، ومن هنا كان الولاء ضرورة حيوية لك ما من شأنه أن يجعل وجودنا أعزر عني وأوسع نطاقاً.[64]

والحقيقة أن الفهم الخاطئ لمعنى الولاء وحصره في قضايا جزئية ، يؤدي في النهاية إلى صراع الولاءات ، والولاء يربط الأمة بتاريخها ويحقق التواصل بين أجيالها ويوحد شعبها بقادتها ، والولاء يمد القضايا بمقومات الحياة ، فهو روح القضية ويحقق التواصل بين الماضي والحاضر ، والقضية التي يتم الولاء لها تحقق وحدة الأمة وتاريخها ، والولاء يستوعب التغيير والتجديد ، فلا يتمسك بالماضي لمجرد الحفاظ على القديم وثبات العادات السلوكية ، وإنما ينفتح على القضايا التي تعبر عن مطالب الجماهير.. ومع ذلك يكون الولاء في كثير من الأحيان مفهوم خطر جداً ويصل إلى درجة الفتك بالمجتمعات، فكثير من الحروب تكون بسبب الولاءات سواء كانت داخلية أو خارجية ، ولذلك قامت العديد من الدول تضع في مقررات الدراسة وضع مادة الوطنية ، وذلك لحصر الولاء للوطن فقط.[65]

ويري رويس أن الولاء يساعد علي تقدم الأمة حيث أن : "الولاء روح القضية وبالتالي لا تنقطع صلة الأمة بماضيها وتراثها ويتحقق تواصل الماضي بالحاضر ، فالقضية التي يتم الولاء لها تحقق وحدة الأمة وتاريخها لأن الحاضر يسعي لتحقيق القضايا التي لم يستطع المخلصون لها تحقيقها في الماضي . فالقضايا المستحقة للولاء والجديرة به إن كانت قد دفنتها المصالح الشخصية والأهواء في فترة من حياة الشعوب، وتعرضت للانكسار في لحظة من لحظات الضعف، فإن بذورها كامنة في أعماق الشعوب ، تستمد غذائها من قيمتها الذاتية ومن الولاء لها

([63]) الموضع نفسه

([64])المصدر سابق ، صـ 11

([65]) المصدر السابق ، صـ 11-12 .

يختارها الأفراد اختياراً حراً في كل لحظة ، فتظهر من جديد ، ومن ثم فالولاء يحقق للقضايا خلودها وللأفكار تواصلها".[66]

1.الولاء بوصفه مبدأ أخلاقياً :

يبين رويس المقصود بالولاء بوصفه مبدأ أخلاقي بقوله : " المقصود بعبارة فلسفة الولاء ، أن أبين أولاً أننا نعتبر الولاء هنا مبدأ أخلاقي ، ولأن الفلسفة تتناول المبادئ الأولى ، وتعني ثانياً أننا نرغب في دراسة المسألة دراسة نقدية وعملية في نفس الوقت ، لأن الفلسفة في جوهرها ما هي إلا نقد للحياة ، ولا يمكن أن نطلق صفة الولاء على كل عمل ، ولا نستطيع أن نعتبر كل صورة من صور الولاء صورة معبرة عن المعني القديم للكلمة ؛ لأن مفهوم الولاء نسبياً ، ويتضمن دائماً وجود موضوع معين وقضية معينة".[67]

يعرض رويس لطبيعة الولاء في بداية كتابه " فلسفة الولاء " ، ويوضح مدى حاجة الإنسان إليه ومحاولة بيان أساس الحياة الأخلاقية وطبيعة القانون الخلقي ومدى الحاجة لمعايير أخلاقية جديدة ترتبط بالحياة العملية ، واكتشاف المعاني الحقيقية للأخلاق التقليدية القديمة ، ويعرف رويس تعريفاً أولياً ثم يعود إلى تكملته في المحاضرة الأخيرة ، ويعتقد رويس أن كلمة الولاء قديمة ولها قيمتها الخاصة ، والفكرة العامة عن الولاء اسبق زمنياً من الكلمة نفسها ، بل وأكثر قيمة منها ، ولكنها تظل دائماً فكرة مشوشة غير واضحة في عقول الناس بسبب علاقتها بمسائل أخلاقية واجتماعية ويقول رويس" لقد عنونت هذه المحاضرات بفلسفة الولاء واعترف صراحة أني استلهمت هذا العنوان أثناء قراءتي للعمل المتميز للعلامة في علم الأجناس للدكتور رودولف شتاين وكتابه المعنون بفلسفة الحرب ، فلقد كانت فكرتا الحرب والولاء فكرتين بينهما علاقة وثيقة ".[68]

ويعرف رويس الولاء بأنه" التفاني الإرادي والعملي الدائم من قبل فرد ما اتجاه قضية معينة فيتصف الفرد بالولاء أولاً ، إذ كان لديه القضية التي يتجه بولائه لها ، وثانياً عندما يهب نفسه

([66]) المصدر السابق ، صـ 12.

([67]) المصدر السابق، صـ 37– 38.

([68]) المصدر السابق ، صـ 37.

لخدمتها طواعية، وثالثاً عندما يعبر عن هذا الإخلاص والتفاني للقضية بطريقة عملية مقبولة ، وبخدمة القضية بصورة فعالة ودائمة."[69]

ويضرب رويس أمثلة للولاء فيقول : " ومن أمثلة الولاء إخلاص المواطن لوطنه ، واستعداده للتضحية بحياته من أجله ، إخلاص المؤمن لدينه ، تفاني قائد السفينة في تأدية وظيفته ، فإذا ما واجهت السفينة كارثة لا يغادرها إلا بعد بذل قصاري جهده لإنقاذها ، ومغادرة كل طاقمها وكل من عليها ، ويكون مستعداً للغرق معها ، إذا اقتضت الضرورة.[70]

ويعتقد رويس أن مصطلحات مثل التفاني وتكريس الذات لا تعبر عن الولاء ، أو تكون كلمة مرادفة لها ، فقد يكرس الفرد حياته للبحث عن السعادة أو يتفانى في السعي لها ، ولكن لا يعني أنه يحيا حياة الولاء ، أو صاحب الولاء ، وكذلك كلمة الوفاء أيضاً لا تعبر عن الولاء ، فما هي إلا جانب من جوانب الولاء ، والولاء يشمل الوفاء ولا يعني وفاء الكلب لصاحبه إلا مجرد لمحة من الولاء ، أو مجرد جانب من الخلق الذي يعبر عن نفسه تعبيراً كاملاً في حياة الولاء الكاملة والعاقلة ، ونفس الكلمة يمكن أن تعبر عن كلمة الإخلاص وأيضاً كلمة الاستغراق ، فأصحاب الولاء تستغرقهم قضاياهم ، ولكن الإنسان الغاضب أيضاً يكون مستغرقاً في انفعال غاضب ، وكذلك يوصف صاحب الولاء بالثقة وإمكانية الاعتماد عليه ، ولكن الساعة توصف أيضاً بإمكانية الاعتماد عليها ، فلا تعبر هذه الكلمة تعبيراً صحيحاً عن الطبيعة الإرادية للولاء. وينظر رويس للولاء على أنه خدمة اجتماعية أو قضية اجتماعية : " فبوذا طبقاً للأسطورة لا يسعى لخلاصه وحده فقط ، بل للإنسانية ككل ولذا يعد من أصحاب الولاء ، وكذلك العالم اليوناني وبحثه عن حل المسألة تتعلق باهتمام العقل الإنساني حيث أن الحقيقة مطلب كل إنسان وتؤدي إلي وحدة حياة كل الناس[71] ، ومن ثم فإن كل من يسعي بإخلاص شديد نحو قضية ما تكون له قضية اجتماعية وأنه من أصحاب الولاء

([69]) المصدر السابق . صـ 39.

([70]) الموضع نفسه

([71]) المصدر نفسه، صـ 144 – 164.

ويري رويس أن فلسفة الولاء " تستوعب التغيير والتجديد ، فلا تتمسك بالماضي لمجرد الحفاظ علي القديم وثبات العادات السلوكية ، وإنما تفسح المجال للجديد من القضايا التي تعبر عن مطالب الجماهير ، فالقضية جوهرها اجتماعي إنساني ، وسلوك الولاء سلوك ابتكاري مبدع".[72] " فالولاء أمر خير للفرد سواء كانت القضية جديرة أو غير جديرة بولائه تماماً مثل الحب يظل ممتعا للمحب بصرف النظر عن استحقاق محبوبته لهذا الحب"[73] ، فالولاء بتعبير رويس هو " شيء نحتاجه جميعاً ، بوصفنا كائنات بشرية ، ونحتاج كلنا لقضايا تستحق ولاءنا."[74]

فالولاء حب الفرد للجماعة واستعداد فطري للانخراط في تجربة الحياة الجماعية بغية تحقيق ما يسمى بالوحدة الأثيرة أو الجماعة المحبوبة ، وفي هذا الشأن يري رويس :" إن وجود قضية اجتماعية تجذب اهتمام الفرد وعواطفه وتسيطر علي حياته بإرادته وبرضاه .. تماماً مثلما تسيطر الروح علي الساحر الذي يستدعيها بإرادته ليحصل علي مساعدتها .. وتتصف بالوقار بسبب الوحدة الإجتماعية التي تحققها بين نفوس إنسانية كثيرة ، وتمثل في نفس الوقت قيمة حيوية لكل فرد يؤمن بها بسبب العاطفة الخاصة التي تثيرها في وجدانه ، فإن هذه القضية تستطيع تحقيق الوحدة بين عالم الفرد الداخلي وعالمه الخاص ، وتأخذ هذه الصورة صورة الولاء الإيجابي".[75]

وهكذا قدم رويس فعل الولاء كبديل عن الوضع المتردي الذي وصل إليه عالمنا ، وكناظم يضبط سلوك الأفراد ويعطيها بعداً أخلاقياً ، وأن فعل الولاء ذو قيمة إنسانية يستميل النفوس ويوقد فيها شعلة لا تنضب للتحقيق التلاحم بينهما ، والعمل على تفعيل دوره في العلاقات الإنسانية واتخاذه منهج عملي تبنى عليه تعاملاتنا مع الغير. والولاء كما يعتقد رويس هو رغبة حقيقية وإخلاص نابع من الذات ، يختاره الفرد ويتمسك به في كل الاحوال ويترجمه عملياً ، والولاء ليس عاطفياً ، بل أنه بني على العقل وتصاحبه العاطفة أيضاً ، ويرى رويس أن القضية التي تعطيها الولاء لا بد أن تكون قضية مستمرة وباقية وحسنة كمثل ولائك لوطنك ، فالوطن له قيمة كبرى. ويجب أن ينظر للولاء على أنه شيء أكبر من ذاته الخاصة ، بمعنى خارج إرادته الفردية ويجب أن توحد بينه وبين

([72]) المصدر نفسه صـ 12.

([73]) المصدر نفسه صـ 57.

([74]) الموضوع نفسه

([75]) المصدر نفسه صـ 58.

مجموعة من الأفراد وتربطهم برابط اجتماعي ، كرابطة الصداقة أو الأسرة أو الوطن ، لذلك تظهر القضية التي يكرس لها الفرد حياته على أنها ذاتية وفي نفس الوقت غير شخصية ، فالولاء لا يتعارض مع الفردية بل هو يحقق الخير للفرد والمجتمع.

ويشيد رويس بالتجربة اليابانية ، فقد تم تدريب الولاء الساموراي والقائم على التعاليم الدينية القديمة للبوشيدو([76]) وعلى حرية الفكر والتعبير حتى جاء الإصلاح الحديث ، فتحولت الولاءات القبلية إلى نوع من التفاني ، وهذا ما جعل التحول سريع ورائع لليابان ، فأنتشر المثل الأعلى للبوشيدو ، وقد أدى الولاء الياباني إلى تحقيق نوع من الوحدة لروح الأمة ، ولم يكبت الرأي الفردي ، وقد اعتمد على نحو كبير على الإبداع الذاتي والمرونة الفردية والأخلاقية . ويعتقد رويس أن الولاء هو الشيء الوحيد الذي يحقق كل الأهداف والغايات العاقلة ، ويحقق الحرية والتعبير الذاتي والروحانية. [77]

إذن لا يوجد تعارض كبير بين الخير الذي يحققه من يؤمن بقيمة الولاء (الولاء الياباني) ، والخيرات الشخصية المختلفة التي يؤكد أصحابنا من أنصار الفردية أهميتها (الفلاح الأعمى الروسي) ولئن كنت لا أومن ... وعلي هذا يؤكد :" أن الخيرات الفردية التي تطالب بها المذاهب الأخلاقية الفردية قد تحققت بالفعل ، أو يمكن أن تتحقق بانتشار روح الولاء".[78]

ويري رويس أن الولاء الساموراي خير مثال على نجاح الولاء ، وحيث لا يتعارض شعوره بالولاء مع إحساسه بكرامته وكيانه الخاص ، ولا يتعارض ولائه مع وحدة الأمة ، كما أن الأخلاق الفردية لا تستقيم إلا بالولاء ، فكل غاية فردية لا يتم الولاء لها يفشل الفرد في تحقيقها ، وأن سلوك الولاء يعد سلوكاً مبتكراً وأصيلاً لا يقوم على التقليد وغير مستمد من الروتين ، ويجمع بين التواضع والاعتداد بالذات ، ويتوافق مع القديم ويبتكر الجديد ، ولكي يتم تدريب علي الولاء يجب أن تدرك أن الولاء يعطي للقضية مسحة اجتماعية ودينية في نفس الوقت ؛ لأنه

([76])تعبر كلمة "بوشيدو" أي "طريق المحارب" عن مجموعة القوانين والأخلاقيات التي كان يتبعها محاربي الساموراي. إلا أن بزوغ فجر عصر حكام توكوغاوا الإقطاعيين والذي شهد فترة خالية من الصراعات في اليابان، حول هذه المبادئ الأخلاقية إلى فضائل روحية أثرت بدورها في نهاية المطاف على معيشة عامة الشعب، وحالتهم الاقتصادية، وأخلاقياتهم.
/https://www.nippon.com/ar/column/g00665

([77]) المصدر نفسه، صـ 64 – 65.

([78]) المصدر نفسه صـ 65.

يعطي للحياة الإنسانية قيمة تجاوز حياة الفرد ، ويضم أكبر عدد من الأفراد ، ولذلك يتطلب التدريب على القدرة على إدراك القضايا الاجتماعية والحسم في الاختيار والوفاء والالتزام في التنفيذ.([79])

علي ما سبق جعل رويس المجتمع محور فلسفته وناقش تصور المجتمع وتكويناته وأنواعه وأشكاله وحاول التوفيق بين النزعة الفردية وروح الجماعة ، ونادى بروح المجتمع التي تجمع المتناقضات وتوحد بينهم ، فمثالية رويس قد عالجت الكثير من الموضوعات التي كانت مصدر إشكال لكل من الفلسفة والدين بوجه عام ، والدين المسيحي بوجه خاص ، وقد جاءت فلسفة رويس فلسفة مثالية مطلقة واحدية، تسير في تيار المثالية بصورة عامة

2.الولاء والأخلاق:

يري رويس أن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي، لا يحيا بدون العواطف الاجتماعية والتواجد مع الأخرين، الذي يتطلب منه دائماً التضحية بالذات للتوافق معهم ، فيقوم الولاء بتحويل التضحية بالذات إلى تأكيد لها ولوجودها ، ويوجه الولاء انتباهنا لقضية خارجية توحد بيننا ، ويقدم لنا فرصة تحقيق الذات وحلاً لتناقض وجودنا الطبيعي ، فكلنا نحتاج إلى الولاء ، لأنه يخطط لنا حياتنا ومثله العليا وتحرره من الشكوك الأخلاقية ويوحد حياتنا الأخلاقية ويوقف بين الإرادة الذاتية والإرادة الاجتماعية ، ويحدد لنا الواجب الخلقي ومعنى الخير ، فيعطي لنا قيمة لحياتنا.([80])

ويتطلب القانون الخلقي في فلسفة الولاء عدة مبادئ وهي كما يلي:

1.يجب عليك الولاء.

2.ولكي تحقق ذلك عليك اختيار قضية معينة أو نسق من القضايا تجعل منه موضوعاً خاصاً لولائك ، يحدد مهمتك في الحياة.

([79]) الموضع السابق .

([80]) المصدر نفسه ، صـ 14-15

3.أبدأ اختيار قضيتك الخاصة بطريقة حاسمة ، ثم عليك أن تظل محافظاً عليها ومخلصاً لها ، وبقدر ما يسمح المبدأ العام للولاء ، استمر في خدمتها حتى يتم العمل الذي تستطيع القيام به.

4. المبدأ العام للولاء، الذي تخضع له كل الاختيارات الخاصة للقضايا أن تكون على ولاء للولاء، أي عليك أن تبذل أقصى طاقاتك لتقديم الخدمة المخلصة للقضايا وتحقيق اقصى درجات التفاني في خدمتها، ومشاركة كل النفوس التي تحيا حياة الولاء. [81]

وتبعاً لهذا القانون الخلقي يري رويس أن علي الإنسان أن يجانب كل من يحيا بدون ولاء الصواب فإن كنت من أنصار الفردية بمعني عدم الولاء لأي شيء فأنت تحيد عن واجبك ، كذلك لكي تحيا حياة الولاء فإن القضية التي يجب عليك الولاء لها لابد أن تجمع مجموعة من الأفراد وتوحد بينهم برابطة اجتماعية معينة تتصف في بعض جوانبها بأنها قضية لا شخصية بل عامة . [82]

وعدم الولاء عنده يعد انتحاراً أخلاقياً، فالإنسان الذي لا توجد له ولاءات يكون إنساناً قلقاً وبدون هدف، فالولاء ما زال قائماً بيننا، فهو السبب في إقامة الأهداف النبيلة والخطط العظيمة، والأفراد المجهولون الذين يختارون الولاء لقضيتهم، وكذلك من يقومون بالخدمات العامة، تطوعاً وبدون مقابل ويعدون علامات مضيئة لنا على طريق الاعمال الخيرية، وهذه كلها تؤدي إلى تشجيع الناس على الولاء. [83]

3.تعليم الولاء:

يتطلب تعليم الولاء لمجموعة كبيرة من الناس عند رويس القيام بثلاثة أمور :

1)يجب أن تساعدهم على المحافظة على قدراتهم الجسدية والمادية والعقلية، وكل قواهم وممتلكاتهم التي تعد أشياء ضرورية لممارسة الولاء.

([81]) المصدر السابق ، صـ 122

([82]) الموضع نفسه

([83]) المصدر السابق ، صـ 132

2)يجب توفير الفرص لولائهم وذلك بالمشروعات الفكرية التي إذا ما تم الولاء لها، يستطيع أن يؤمن لهم أقل الظروف التي تؤدي إلى صراع الولاءات ، وتقدم لهم في نفس الوقت الفرص المختلفة لربط القيم الاجتماعية بقيمة الولاء.

3)يجب أن تبين لهم بوضوح أن الولاء أفضل الخيرات الإنسانية وأن الولاء للولاء ، يعد التاج الحقيقي لكل أنواع الولاءات. [84]

أن روح الولاء روح بسيطة يمكن اكتسابها بالتدريب ، وفي مقدور كل الناس تعليم الولاء لعدد كبير من الناس ويجب أن يتم مساعدتهم على التقليل من الغربة التي يشعرون بها تجاه نظامهم الاجتماع.[85]

ويؤكد رويس علي ضرورة التدريب على الولاء ، فلا بد أن يصاحب الإنسان منذ صغره ، وتعليمه على حب الوطن والتركيز على مشتركات الوطن ، وعند تدريب الأطفال على الولاء يجب على المدرسين تجنب الدعوة لأي نوع من أنواع الولاء ، قبل وصول الطفل للمرحلة المناسبة له ، وتكوين الأرضية المناسبة أي وجود تطور لمجموعة من العادات الاجتماعية التي تعد أساسية لقيام الولاء ، ولابد أن يكون لدى الفرد المادة المناسبة للشخصية الأخلاقية ، قبل اكتساب الضمير أو نضج ضميره.[86]

ويرى رويس أنه يجب على التربويين استثمار مهارات الاطفال من خلال تمثيل دور الأبطال والحلم بالأعمال العظيمة ، وتمثيل الفنون التصويرية والتمثيل والتعقيل التي يمارسها الأطفال عادة بصورة تلقائية لا تعد في حد ذاتها مجموعة من الصور الخيالية المسببة للمتعة والسعادة للأطفال ، وإنما نوعاً من التمهيد الأولي للتدريب على المقدرة الحقيقية لفهم الطبيعة الحقة للقضايا الاجتماعية التي يعتمد عليها الولاء فيما بعد ، فالولاء هو نوع من تعقيل الحياة الإنسانية أو تحويلها إلى مثل أعلى ، ولما كان الولاء يتضمن سلوكاً ، فإن خيالات الطفولة تعد مجرد إعداد للولاء ولسلوكه ثم يأتي الولاء الحقيقي فيما بعد. والولاء يكتمل في مرحلة النضج وسن

([84]) المصدر السابق، صـ 128

([85]) المصدر السابق ، صـ 140

([86]) االمصدر السابق، صـ 146_147.

الرشد. ولا يعتقد رويس بأن الدين والفن المصدريين الوحيدين اللذين نتعلم منهم التدريب على الولاء ، فالحزن والهزيمة وخيبة الأمل والفشل يمكن الاستفادة منها ، ولقد بين التاريخ أن القضايا الخاسرة تحولت في كثير من الأحيان إلى مثل عليا وإلى قضايا إنسانية.[87]

وهكذا فإن الولاء عند رويس قائم علي الإحساس بالتعاطف مع القضايا المتعلقة بالإنسان حرصاً علي الصيرورة التاريخية وربط مصير الانسان بمجتمعه القائم علي المصالح المشتركة بينهما ، الأمر الذي يؤدي إلي الوحدة والترابط والتماسك بينهم ، وقد اعتبر رويس الولاء ذو قيمة إنسانية يعمل علي تفعيل دور العلاقات الإنسانية وتنظيم التعاملات مع الأخرين ويصبغها بالطابع الأخلاقي .

المبحث الرابع : مشكلة الشر عند جوزايا رويس :

أختلف رجال الدين والفلاسفة والأخلاقيون عما إذا كان الشر يصدر عن الله أم عن الإنسان ، فالله أفعاله كلها خير ولا يأتي بالشر أبداً فهو عدل كريم رحيم ، وقد كثرت التساؤلات : هل الشر من فعل الله أم من فعل الإنسان ؟ وهل الشر إذا تم فعله يكون مراداً من الله أم غير مراد ؟ وهل الشر فطري في الإنسان؟([88])

وقد ظهرت مشكلة الشر في جميع الديانات بعيداً عن كونها وضعية أم سماوية ، وقد رجح الكثيرين إلي أن وجود الشيطان هو الذي يدفع الإنسان لارتكاب الشر ، وقد بدأ ذلك في الديانات الهندية القديمة والصينية بجانب الفارسية والمصرية حتي أصبحت تلك المشكلة قاسم مشترك بين الجميع .([89])

([87]) المصدر السابق، صـ 161.

([88]) جفري بارندر : المعتقدات الدينية لدي الشعوب، ترجمة د. امام عبد الفتاح امام، سلسلة عالم المعرفة الكويت، العدد 173، 1993، صـ 171.

([89]) فوزي اسكندر : الديانات الهندية و القديمة ، دار الأفاق ، بيروت، الطبعة 3 ، 1983 ، صـ 183 .

الشر لغوياً واصطلاحياً :

ا. الشر لغوياً:

وردت كلمة شر في القران الكريم إحدى وثلاثين مرة.([90]) وقد وردت كلمة الشر في لغة العرب لتدل علي العديد من المعاني منها السوء والفساد: قالت العرب" هذا شر" يريدون أنه ترتب عليه سوء أو هو فعل سوء وترتب عليه فساد سواءً أكان الفساد مادياً أم معنوياً أخلاقياً أم غير ذلك.([91])

ب. مفهوم الشر اصطلاحياً:

عرفه الجرجاني في كتابه التعريفات علي أنه عدم ملائمة الشيء لطبعه، من حيث أنه الملائم للطبع يكون خيراً، والمنافر للطبع يكون هو الشر.([92]) بينما ذهب جميل صليبا إلي أن الشر ظاهرة تخالف حاجات الإنسان المحددة ولا يتلاءم مع المصالح والأماني الإنسانية ، والشر هنا يمثل صفقة غير مقبولة معرفياً ، حيث أن الفعل لا يترتب عليه أهداف يسعي الإنسان العاقل إلي تحقيقها.([93])

وقد ذهب البعض إلي رد الشر إلي الجهل والخطأ ، فقد ربط سقراط بين الشر والجهل فرأي أن الفضيلة علم والرذيلة جهل ، فيكون الشر نوعاً من الخطأ ، والخطأ نوع من الجهل ، وقال سقراط عن الخير" أن السعادة التي أعتبرها غاية كل فعل أخلاقي".([94])

كما ذهب أفلاطون إلي أن الفضيلة صحة للنفس وجمالها وقوتها ، أما الرذيلة فهي مرضها وقبحها وضعفها.([95]) بينما عرف القديس أوغسطين الشر علي أنه فساد علي وجه العموم دون النظر إلي شيء أخر ، فالشر الذي يبحث عن علته لا يكون جوهراً في ذاته.([96]) ويتضح ذلك في قوله " الشر عين الفساد ، وكل فساد مرده الي شر بذاته ".([97])

([90]) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، باب الشين ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، صـ 378.
([91]) الفيروز بادي : القاموس المحيط ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ،جـ 3 1983 ، 78.
([92]) الجرجاني : التعريفات ، باب الهمزة ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، 1948، صـ 37.
([93]) جميل صليبا : المعجم الفلسفي : دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 ، 696.
([94]) توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية ، نشأتها وتطورها ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،ط 2، 1967، صـ 56.
([95]) أفلاطون : محاورة الجمهورية ، ت. فؤاد زكريا ، دار الكتاب العربي ، 1968، صـ 156.
([96]) القديس أوغسطين : الاعترافات ، ترجمة الخوري يوحنا الحلو ، دار المشرق ، بيروت ، ط 6، 2000 ، صـ 136.
([97]) مجموعة من الأباء اللاهوتيين ، معجم اللاهوت الكتابي ، دار ماستر ، القاهرة ، 1983، صـ 435.

قسم ليبنتز الشر إلي ثلاثة أنواع : الشر الميتافيزيقي Metaphysical evil، والشر الطبيعيNatural evil ويشمل عمليات المعاناة Suffering والأسى Sorrow والشقاء Misery ، والشر الأخلاقيMoral evil ويتضمن الاثم Sin فالبراكين والزلازل لا تعد شر لأنها لا تحتوي علي نتائج تناقض اهتمامات الكائنات البشرية .([98]) ويعتبر الشر الأخلاقي أخطر أنواع الشرور لأنه يرجع إلي الإرادة الإنسانية أو سوء استخدام الإرادة الحرة عندما ينبذ الإنسان الخير الدائم المتمثل في طاعة الأوامر الإلهية والانصياع إلي وصايا الكتاب المقدس ليجري وراء خير زائل وعابر ، وقد حدث عندما أساء الإنسان استخدام إرادته فوقع في الخطيئة الأولي عندما منحه الله الإرادة الحرة القدرة علي اتخاذ القرار تمرد وعصا.([99]) فالإنسان يتحمل مسئولية أفعاله باعتبار المسئولية والحرية أمران متلازمان.([100])

ويتفق نيتشة مع ذلك الرأي حيث يري أن الإنسان هو السوبرمان ، وإن يكن هناك إله فلن يخرج عن هذا السوبرمان.([101]) كما نظر البرجماتيون إلي الإنسان علي أنه صاحب كل شيء ، ومن ثم استغنوا عن الإله ، ولما كان الشر من صنع الإنسان فقد حملوه المسئولية ، إلا أنهم التمسوا له بعض الأعذار حتي لا تقع الإدانة الكاملة علي عاتقه ، وقد قدس وليم جيمس الإنسان ، وأطلق له الحريات طالما أن أعماله تقدم النفع.([102])

فقد ذهب ليبنتز إلي أن الكمال الإلهي لا يتضمن أي صورة من صور الشر ، وإنما يرد مصدر الشر لنوعه ، فإن كان الشر ميتافيزيقيا فمصدره يرد إلي نوعه " الميتافيزيقي "، وإن كان طبيعياً فمصدره الطبيعة ، أما إن كان أخلاقيا فمصدره الأخلاق ، ولما كانت الثلاثة أنواع متعلقة بالإنسان فإنه مصدر الشر.([103])

([98]) Bruce Langtry : God, The Best, and Evil, 1st ed, Oxford and New York : Oxford University press,2008 , p 43.

([99]) أمل مبروك : العدل الإلهي ، دراسة في فكر ليبنتز والمعتزلة ، الدار المصرية السعودية ، القاهرة ، 2009 ، صـ 34.

([100]) محمد عبد الله دراز : دستور الاخلاق ، دار الخطيب ، القاهرة ، طـ 2، 1965، صـ 218.

([101]) رفقي زاهر : الفلسفة الحديثة ، دار الطباعة الفنية ، القاهرة ، طـ 1، 1979، صـ 85.

([102]) وليم جيمس : البراجماتية ، ترجمة .محمد علي العريان، تقديم: زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية ، 1965، صـ 118.

([103]) نازلي اسماعيل حسين : الفلسفة الالمانية ، نظرية العلم ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، 1973 ، صـ 76.

وذهب ليبنتز إلي أن الشر في هذا العالم يوجد بأقل قدر ممكن ، وأن العالم الحالي رغم كل ما فيه من شرور وحروب وكوارث وأمراض هو أفضل العوالم الممكنة.([104])

تعتبر إشكالية وجود الشر من المشكلات الأخلاقية التي تواجه المذاهب المثالية ، حيث يرى "رويس" أن الشر لا يوجد في العالم كوسيلة للخير ؛ لأن معنى ذلك أن الخير والشر كيانان منفصلان ، ويصبح الحصول على الخير مسبوقا بخبرة شريرة ، ولا يتم ذلك إلا بوجود قوة محدودة تحقق الخير من خلال توسط الشر ، إن الله مطلق ولا وجود لأشياء مستقلة عليه ، لذلك لا يعتبر الشر وسيلة للخير ، بل ارتباط كل بجزء ، فيستمد الخير وجوده من اللحظة التي يتم فيها اكتشاف الشر والسيطرة عليه . إن الشر عبارة عن واقعة تدفع جزئياتها إلى البحث عن الآخر، الذي يمكن من خلاله تفسيرها ، أما بالنسبة لوجود الشر فيرى "رويس" أن الوعي بالشر يحدث بسبب طبيعة الإرادة والمثل الأعلى ، فتحتاج الإرادة لعالم المستقبل الذي تعتبره عالم الوجود الذي تتحقق فيه ، ولا تكون مشبعة تماما بالحاضر ، لذا فهي تحيا بشعورها بعدم الرضى ، بسبب سعيها للمثل الأعلى دائما ، لذا يرى رويس أن المثل العليا تساهم في الوعي بالشرور الزمنية.[105]

وهنا يثار تساؤل: كيف يكون الشر الجزئي خيرا كليا؟ ، إن كل ما هنالك أننا استنتجنا من مفهوم المطلق ذاته أن الشر الجزئي يجب أن يكون كلية ، فالله يعرف كيف يحدث ذلك ، ولا نعرف أكثر من ذلك . يقول "رويس": "إن القول بأني لم أحب شيئا إلا الله يتساوى مع قولي أني لم أكره شيئا إلا الله. فالله لا يحتاج لحبي أو كراهيتي له ، بعبارة أخرى إذا كان الله يحتاجني لكي يكمل حقيقته المطلقة ، فإنه يمتلكني بالفعل منذ الأزل ، وليس هناك شيء أقوم به إلا تأمل الشرور الغامضة ، وأشعر في سريرتي بنوع من الثقة ، إن الله يعرفها جميعا معرفة واضحة.

([104]) جوتفريد فيلهلم ليبنتز : المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي ، ترجمة : د.عبد الغفار مكاوي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1978، صـ 113.

([105]) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، مرجع سابق ، صـ 193

فالضباب امامه ماء صاف ، يتلألأ في بحيرة جبلية ، وهكذا تصبح عقيدتي تأملا في حكمة الله وتوقفاً عن العمل.(106)

وقد رأي الفيلسوف الإنجليزي ريتشارد سوينبرن Richard Swinburne أن تحمل الكائنات البشرية مسئولية المعاناة جعلت الخير عظيماً ممكناً ، فالإله طبقاً للضرورة المنطقية لا يمكنه اختيار عالم يسكنه مخلوقاته بدون الخير اللازم لتفسير ما لديهم من اختيار عظيم يدركه من خلال هذا الاختيار مدي المعاناة من أجل تحقيق الخير للأخرين.([107])

إن فكرة الله عند رويس من حيث إنها التجربة المطلقة والشاملة كل الشمول ، اضطرته بصورة طبيعية مثل برادلي [108] أن ينتبه إلى مشكلة الشر ويهتم بها ، ويرفض في كتابه " دراسات في الخير والشر" (1898م) أية محاولة لاستبعاد الموضوع عن طريق القول بأن المعاناة والشر الأخلاقي وهم ، فهما على العكس حقيقيان ، ولذلك لا يمكن أن نتجنب النتيجة التي تقول إن الله يعاني عندما نعاني ، ولابد أن نفترض أن المعاناة ضرورية من أجل كمال الحياة الإلهية.[109]

وعن علاقة الشر بالعدالة الإلهية يرى رويس أن الإنسان غالبا ما يعاني من شرور لا ترجع إلى رذائله ، أو لإرادته الحرة أو لمعصيته ، ويعتقد الإنسان عندها أن هذه الشرور تتعارض مع العدالة الإلهية ، ويطرح الإنسان سؤاله التالي: " إذا كان العالم من صنع مدبر حكيم يعرف قيمة الخير ، فكيف يسمح بوجود الشر؟ "[110]، وهنا يجيب "رويس "بنظرة غائية للعلم حيث يؤكد أن الموت والحروب مثلا عبارة عن شرور طبيعية وليست من فعل الله أو الشيطان ، وأن الآلام والأحزان ظواهر طبيعية تحدث بسبب الجهل ومحدودية الإنسان ، لذا يعتقد رويس أن فهم

([106]) الموضع نفسه

([107]) Richard Swinburne ; Is There A God?, Oxford and New York : Oxford University press,1996, p 107.

([108]) فرنسيس هربت برادلي فيلسوف إنجليزي ولد في كلافام 1846م وتوفي في أوكسفورد 1924م، أتم دراسته في أكسفورد، حيث أقام من عام 1870م إلى يوم وفاته، بصفة استاذ مساعد في مرتون كوليج وتأثر بمنهج كانط النقدي وبالجدلية الهيجيلية غير أن مثاليته النازعة نحو التوكيد على إيمان متعال، تسلك دروباً قريبة من دروب الشكية، من مؤلفاته، الظاهر والواقع، دراسات في الأخلاق ومحاولات في الحقيقة والواقع ودراسات في الأخلاق . جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، صـ156

([109]) فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ترجمة محمود سيد أحمد، المركز القومي للترجمة – القاهرة، م8، ط1، 2009م، ص 387

([110]) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، مرجع سابق ، صـ 193

الطبيعة من أفضل طرق تحقيق الخير ، كما أن وجود الشر في نظره يعتبر ضروري لحرية الأفراد ، لأنها تتضمن منطقيا سمح الله بوجود الأفعال الشريرة ، فبدون الحرية لا وجود لخير أعلى ، وبسببها يستطيع أن يخطأ الإنسان.([111])

ويقع الشر بين إرادتين: الإرادة الإنسانية والإرادة الإلهية ، وترتبط تلك الإرادة بالعقلانية السببية Causal rationality ، وتتضمن عقلانية الإرادة الإنسانية عند كانط الحرية والتأكيد علي خيرية العالم وشر الإرادة الإنسانية ، ولما كانت القوانين الأخلاقية تمثل القوانين الطبيعية فإن الإرادة نوعاً من السببية ، ومن ثم فإن الإنسان يكون فيها السبب الأول بصفته غاية في ذاته وهو الفاعل الحقيقي للشر وخاصة عندما يخل بواجباته العقلية الأساسية.([112]) فالإنسان يفوق أشرس الحيوانات في بحثه عن منفعته.([113])

فالإقرار بخيرية العالم يتفق مع مبدأ وجود الله ، بينما يتفق وجود الشر في العالم مع وجود الإنسان والعالم ، ولكن هناك بعض الفلاسفة يرون أن الإقرار بكلية أو شمولية الخير مصدر الله ، وفي المقابل هناك كلية الشر أيضا ، فكلية الخير لا يمكن أن تشمل الشر الكلي ، ومن ثم يظهر الشر في صورة جزئية كونه فعلاً سيئاً Bad action صادر عن إرادة الله وإرادة الإنسان من أجل الخير الكلي ، وهذا ما أكده سوينبرن عندما رأي أن مشكلة الشر تتضمن وجود حالات سيئة للأفعال.([114])

فتفسير رويس لمشكلة العدالة الإلهية ولوجود الشر ، ورغم استخدامه لمصطلح " ليبنتز " الفلسفي عن العدالة الإلهية ، فإن رويس يقصد به معالجة مسالة دينية ، إلا أن معالجته لمشكلة الشر جاء مدخلا دينيا ، يفترض الإيمان قبل العقل ، أو " أومن ثم أعقل" ، فنجده قد اختار مشكلة النبي أيوب عليه السلام مثلا في مناقشة الشرور غير المستحقة في العالم. حيث يتم نقل التساؤل من المستوى الخاص إلى المستوى العام ، حتى يتم صبغ التساؤل بصبغة فلسفية ، فحتى التساؤل في حد ذاته يفترض الإيمان المسبق بوجود خالق للكون ، كما نجد أن رويس" لم

([111]) Jasiah Royce :the deligous aspect if philosophy , Previous reference , p 194 .

([112]) James p. Strerb ; Ethics: The big questions, 1st ed, Oxford: Blackwell publishers Ltd.1998, p203

([113]) أميل برهيية : تاريخ الفلسفة ، جـ 4 ، ترجمة : جورج طرابشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طـ1، 1983، صـ 182.

([114]) Richard Swinburne: Providence and The problem of Evil, 1st ed, Oxford: C Larendon press.1998, p4.

يناقش مسالة العدل الإلهي كما فعل "كانط" ، من حيث العلاقة بين حرية الذات الأخلاقية وخضوعها لمبدأ الواجب ، بل تناولها بمنظور ديني أي من حيث علاقة الله بالإنسان. كما يظهر الاتحاد الديني في الأخلاق في اعتبار "البصيرة الخلقية" بداية " للنور الخلقي"، ويظهر الحدس الخلقي ، ويقدم للوعي المثل الأعلى ، الذي يفض صراع المثل العليا ، ومن هنا يصبح المظهر المفاجئ للبصيرة الدينية شبيها بمظهر الوحي عبر التاريخ كوسيلة للخلاص والتطهر ، وانتقال العالم من الظلام إلى النور ومن الشكوك إلى اليقين.[115]

وعليه فقد أصر "رويس" على الوجود الأصيل للشر ، فقد جعلت دراسة شوبنهور للشر مستحيلا عليه أن ينكر وجود الشر ويصفه بأنه وهم أو مجرد شيء ظاهري ، إلا أن رويس يفسر وجود الشر بأن الله لم يرد العالم بشروره بطريق عابثة ، بل أراد الله الشر لكي ينتج الخير الأعظم الذي لولاه لما تحقق. ويقدم "رويس" أمثلة عديدة على فكرته هذه وتشبيهات منها "أفرض مثلا أننا سمعنا بعض الأنغام الحادة عند عزف سيمفونية جعلتنا لا نستطيع أن نفهم بقية القطعة الموسيقية ، فإن هذه الأنغام الحادة سوف تبدو لنا أنها شر تام. أما بالنسبة لله أو المطلق من ناحية أخرى يخبر الكون ككل ماضية وحاضره ومستقبلية بطريقة أزلية ، ويجد متعة منذ الأزل ، ومن ثم تبريرا لكل الشرور العارضة ، من حيث أنها أجزاء ضرورية من الخير الأزلي الدائم.[116]

وتتمثل النزعة التشاؤمية عند شوبنهور في تأكيده علي أن الإنسان المسئول عن الشر في العالم ، وتكمن خطيئتنا الأصلية في أننا ولدنا أفراداً متناهين مزودين بأنانية تتضمنها الفردية المتناهية بالضرورة.([117]) والحياة عند شوبنهور تتضمن الشفقة والأنانية ، فالأنانية إذا حركت الأفعال فإنها غير أخلاقية ، أما إذا تحكمت فيها التعاطف والشفقة فإنها أخلاقية ، وتتطلب الشفقة الرد علي الشر بالخير ، وإضعاف أو تحجيم رغبات الزهد والتقشف سبيل إلي تحقيق السعادة والسكينة أو ما تحدثت عنه البوذية بالنرفانا وإنكار إرادة الحياة.([118])

([115]) أحمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، مرجع سابق ، صـ 202

([116]) وليم كلي رايت : تاريخ الفلسفة الحديث ، مرجع سابق ، صـ 474

([117]) المرجع السابق، صـ 364.

([118]) فيصل عباس : موسوعة الفلاسفة ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، طـ 1 ، 1996 ، صـ 366.

والحل النهائي لمشكلة الشر الخلقي يكمن في هذه الخبرة الفردية فمثلا عندما أشعر برغبة أنانية لدي تسعى لتدمير بصيرتي الخلقية ، فلا أقول هذه الرغبة شريرة ، تعد بصورة ما خيرا كليا ، وإنما في لحظة الفعل الخلقي وعند التغلب عليها أجعلها جزءا من الشعور بالخير ، بالرغم من اتصافها بالشر. فالبصيرة الخلقية ترفض الشر وتسعي لقهره. ولكنها أثناء محاولة قهره ، والتغلب عليه تشكل هي وهذا الشر المقهور الكل العضوي الذي يشكل الإرادة الخيرة. فالإرادة الطبيعية لا وجود لها إلا من خلال هذا الانتصار الداخلي عل الاتجاهات الشريرة وما دامت الحياة الكاملة لله، يجب أن تحوي الإرادة الطيبة المطلقة فإنها بد أن تكون واعية بمثل هذا الانتصار.[119]

وبالتالي يقول رويس: " عندما أحقق انتصار البصيرة الخلقية على الإرادة الشريرة ، فإني أحيا في لحظة واحدة غير منقسمة ، كلا من الشر الجزئي الرغبة الأنانية والخير الكلي للانتصار الخلقي الذي يحد وجوده فقط من التغلب على الشر.[120] "إن ما أسفر به عند قيامي بفعل خير يعد جزءا من الحياة الإلهية وعنصرا فيها، ولاحظ مباشرة كيف يكون الشر الجزئي خيرا كليا لأني في تغلبي على هذا الشر أكون قد اخترت تحقيق الإرادة الكلية. فتظل الرغبة الشريرة كامنة في ذاتي ولكنها تكون في حالة الهزيمة لأنه في اختيار محاربة الشر تحيا الحياة الخيرية [121]. وعلى ذلك إذا كانت خيرا ، فإنك خير فقط بسبب إدراكك للرغبة الشريرة وتحكمك فيها واحتوائها في نظرة أشمل. وإذا كنت شريرة فإنك تدان بوصفك كائنا منفصلا ويسبب إدانة شرك المنفصل أو المستقل تكون الحياة الإلهية التي تحويك وتحويني. إدانتك والتغلب عليها حياة خيرة في مجملها . وهكذا فإن " رويس" يبين لنا أن الإرادة الشريرة تحيا بوصفها عنصرا مهزوما ومنقلبا عليه في باطن الإرادة الخيرية وبوصفها عنصرا ضرورية للخيرية[122].

([119]) جوزيا رويس : الجانب الديني للفلسفة ، مصدر سابق ، صـ 320.

([120]) الموضع السابق

([121]) المصدر السابق ، صـ 321 .

([122]) المصدر السابق ، صـ 322.

والحقيقة أن تصورنا للوحدة المطلقة للحياة الإلهية مكننا من القول بهذا الفكر وتطبيقه ، وكان لا يمكن تحقيقه في ظل القول بثانوية أو تحقيق عدالة إلهية في ظل الإيمان بأي شكل من الأشكال الثنائية . وإذا تم تصور الله كائنا مستقلا فإن المشاكل التي لا حل لها تفيد وتفرض نفسها من جديد ، فتصور الوحدة المطلقة للحياة الإلهية ، يقدم لنا حلا مباشرة لمشكلة الشر.[123]

كما يقدم "رويس" أمثلة أخلاقية أيضا ، "فيوسف" في القصة التي يروها الكتاب المقدس خانه إخوته لكنها ليست خيانة على الإطلاق ؛ لأنها أظهرت نبوته وملكه. ولا تزال خيانة " يهوذا " ليسوع" أكثر إذهالا ودهشة ، ولولا هذا العمل الشرير لما حدث موت "يسوع" على الصليب . لكن "يسوع" مات ، وأيا كانت التفسيرات التاريخية والعلمية الصحيحة ، فإن إتباع " يسوع " أصبحوا الآن يؤمنون بقوة بقيامته ، وبلغت الكنيسة الأولى نتيجة للإيمان المشرك "بالإله" الذي رفع تجربة دينية أكثرا شراء مما كان يمكن أن تصل إليه لولا خيانة "بوذا". ومن هنا يقرر "رويس" أن كل من يبتهج بشدائده وكربه الخاصة ، ويتغلب عليها ويحولها إلى الخير في حياته الشخصية الحاضرة عندما لا يستطيع أن يفعل ذلك كما في الغالب ، وتواجهه في أي حدث المعرفة التي يرغب اللوغوس في أن تكون الأفضل ، وتكون تلك الشرور بالنسبة له الآن جزء من بهجة الله المباركة والمظفرة ، حقيقة أن الله يسمح للمخطئ أن يخطئ ويحول الله هذا الشر إلى خير دائم ، لكن المخطئ يلام ويدان على نحو أزلي بسب الشر الذي ارتكبه والذي لا يصبح خيرا إلا عن طريق تضحيات بطولية من الآخرين.[124]

المبحث الخامس : علاقة الخير بالشر عند جوزايا رويس :

جعل نيتشة الإنسان خالق القيم مبدع الخير والشر ، يقول :" لقد أعطي البشر أنفسهم كل خيرهم وشرهم ، إنهم لم يأخذوه ولم يكتشفوه ولم يأتي إليهم كوحي من السماء ، وأن الإنسان وحده هو الذي وضع القيم في الأشياء ليحافظ علي ذاته ، وهو الذي خلق المعني للأشياء ، فهو معني إنساني ، ولذلك فإنه يسمي نفسه "الإنسان " أي خالق القيم.([125])

([123]) المصدر السابق، صـ 323.

([124]) وليم كلي رايت : تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، صـ 475

([125]) د. ابراهيم يسري : فريدريك نيتشة ، فلسفة الأخلاق ، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان.، 2007، صـ188.

تأخذ المسألة الأخلاقية صورة الصراع الأبدي بين الخير والشر ، بين الفضيلة والرذيلة بين الشهوة والعقل ، بين الجسد والروح ، بين الحق والباطل ، وتلك هي الحقيقة التي تشكل نقطة التقاطع بين مختلف التيارات الفكرية والفلسفية علي الرغم من اختلافها وتباينها وتباعدها . فالأخلاق أياً كان مصدرها هي انتصار للفضيلة واندحار لقوى الشر والطغيان والرزيلة . إنها الحالة التي يخرج فيها الإنسان من دائرة المصالح الضيقة إلي دائرة المصالح الاجتماعية أو العليا المحكومة بقوانين الحق والواجب والفضيلة والضمير.[126]

يعتقد سقراط بتوأمة الخير والمعرفة من جهة ، وتوأمة الشر والجهل من جهة ثانية ، فالمعرفة تؤدي إلي الخير والجهل يدفع إلي المعصية والشر ، ووفقاً لهذا التصور كان يري بأن المعرفة والحكمة والفطنة هي الخير الأسمى ، والخير الأسمى هو فضيلة الفضائل لأن من عرف الخير اهتدي إليه.[127] ويري السوفسطائيون أن النفس شهور وهوي وهو عكس ما يري سقراط حيث يري أن الإنسان روح وعقل يسطر علي الحس ويعقله.[128]

في حين ذهب أرسطو في مقدمة كتاب " الأخلاق النيقوماخية ": "إن كل فن وكل فحص ، وكذلك كل فعل واستقصاء لا يقصد به استهداف خيرًا ما ، ولهذا السبب فقد قيل بحق إن الخير هو ما يهدف إليه الجميع". ويفصل الغايات من الأفعال واختلافها ، فيتساءل" فما هو إذن الخير في كل واحد منها؟ "أليس هو الشيء الذي من أجله يصنع كل الباقي؟ " ويعدد الأمثلة التي يشرح فيها رأيه فيقول "في الطب مثلًا هو الصحة ، وفي فن الحركات العسكرية هو الظفر ، وهو البيت في فن العمارة ، وهو غرض آخر في فن آخر . لكن في كل فعل ، وفي كل تصميم أدبي ، الخير هو الغاية نفسها التي تبتغي".[129]

([126]) علي أسعد وطفة : في مفهوم الأخلاق " قراءة فلسفية معاصر " ، جمعية الاجتماعيين في الشارقة ، مجلد 30 ، العدد 119 ، 2013 ، صـ 117

([127]) المرجع سابق ، صـ 102.

([128]) المرجع سابق ، صـ 118.

([129]) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص 186.

وقد ذهب كلاً من أوغسطين St.Augstin(354 –430م) وتوما الاكويني At. Aquinas(1225–1274) إلي أن علة وجود الشر في العالم نتيجة العدم والحرمان ، فقد سمح الله بوجود الشر ليحقق الخير بوصفه الخير الأعظم ، وكما رأي توما الاكويني أن وجود الشر من أجل الانتقال إلي الخير المطلق.([130])

بينما ذهب اسبنوزا Spinoza(1632 –1677) إلي أن الانسان يسعي لتحقيق منفعته الذاتية ، وقد عرف الانسان معاني الخير والشر لتوضيح طبيعة الأشياء ، ولذلك أطلق الناس الخير علي كل من ساعد علي اكتساب الصحة وعبادة الإله ، أم الشر فهو ما يخالف ذلك.([131])

وقد رأي هوبز Hobbes(1588 –1679) أن الشر هو روح الإرادة السيئة التي تفضل التخلص من إلزامية الاختيار الدائم ضمن نطاق " قيم " مطروحة بشكل مفتعل علي أنها مطلقة ، وهذا من شأنه أن يؤدي عاجلاً أو آجلاً إلي اضطهاد الأخرين باسم هذه المعبودات المصطنعة.([132])

في حين ذهب نيكولا ميكافيللي Nicolas Michiavel(1469 –1527) إلي أن فلسفة التسامح ترتكز علي طبيعة الإنسان الشريرة ، فقد ذهب هوبز إلي الإنسان أناني بطبعه يسعي إلي نيل مصلحته الشخصية ، فالإنسان ذئب لأخيه الإنسان ، والكل في حرب ضد الكل ، وكذلك الفرد في حرب ضد الجميع ، والحياة تمثل قوة باطشة للأقوياء ، وللضعفاء تتضمن الخداع والمكر والتحايل.([133])

وقد أشار رويس إلي مشكلة وجود الشر في العالم ، مع كون الله خيرا بطبيعته ، وحاول إثبات أن وجود الشر ليس وسيلة للخير ، وإنما هو وجود مهزوم باطن الإرادة الخيرة ، محاول

([130]) John Perry and Michael Bratman; Introduction to philosophy: classical and contemporary Readings, New York and Oxford: Oxford University press,1999 p 92

([131]) باروخ سبنوزا : علم الأخلاق ، ترجمة جلال الدين سعيد ، مراجعة جورج كتورة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، اكتوبر 2009 ، صـ 81.

([132]) غرايغور فرانسوا : المذاهب الأخلاقية الكبرى ، ترجمة قتيبة المعروفي ، منشورات عويدات ، بيروت ، طـ 3 ، 1984 ، صـ 129، 130.

([133]) عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، جـ2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الكويت ، طـ 1، 1984، صـ 561 ، 562.

التوفيق بين الخير والشر لكي يحقق في النهاية ارادة الله الخيرة وبالتالي يحقق كمال الحياة الإلهية .

ان الافتراض بوجود عالمين للخير والشر باعتبارهما ثنائية التناقض أو التقابل في الكثير من الأشياء تجعل هناك حتمية لوجود امتداد لهما في داخل الكائن وذاته المنقسمة الى عوالم متعدّدة في الباطن الكامن بمثابة صور شتّى من الوعي واللاوعي والروح والجسد ، حيث يتم التعامل مع المحيط الخارجي بها فتخضع بها أحكامنا للقيم والأعراف .. ولكن المؤسف أن الذي يحدث الآن وبرغم أن هناك أفراداً يؤمنون بالخير كفضيلة إلا أنهم يقتحمون عالم الشر لتمرير مصالحهم في المجتمع ، وهذا التأرجح في الذات بين عالمين متناقضين هو الذي يشكل خطراً على الذات البشرية فتداخلت العوالم واختلطت وأصبح الكائن يشعر بتخبط وضياع واحباط ينتهي بمجاراته للآخر خوفا منه وهنا يقول :جوزايا رويس " :ان عالم الخير ليس عالم البراءة الكاملة ولا هو تجاهلاً للشر و انما احتواؤه والتغلب عليه".[134] فما هذا الذي يحصل على أرض الواقع وكل هذا الدم يراق تحت مسميات مختلفة ، إن ثنائية الخير والشر ليست عبارة عن النقيض ونقيضه ، وإنما ما تختزن من أسباب ودوافع لأن يكون الخير فضيلة والشر رذيلة ، فإن كانت الأسباب ذات دوافع خَيِرة عمت الفضيلة ، وإن كانت الأسباب ذات دوافع شريرة عمت الرذيلة . لذلك دافع الخير سببه الحد من الرذيلة ودافع الشر سببه قتل الفضيلة ، ويشتغل مفهوم السببية بأليات الدوافع الذاتية لتحقيق مصالح شخصية تعتمد قيم الخير أو الشر لتحقيق هدفها المنشود.

اذن فمفهوما الخير والشر تحدده القيم الاجتماعية والدينية الراسخة في وجدان المجتمع ويتوقف حجمها ونسبيتها و ادراكها على كل ذات على حدي وما تحمله من رواسب كامنة ، الرواسب الخيرة أو الرواسب الشريرة ، ومستوى ثقافتها . كما أن الكائنات الاجتماعية ضمن المجتمع الواحد تختلف بمستويات الإدراك لماهية الخير والشر ومن ثم لمفهوم الفضيلة والرذيلة ، فلحجم الرواسب الشريرة الكامنة في الذات تأثير كبير على السلوك اليومي للفرد كأن يكون سلوكاً مؤذياً للمجتمع من

([134]) http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=222465 .16/7/2022

دون أن تدركه الذات على نحو حقيقي ولا تعده من الرذائل ، لكن الذوات السوية في المجتمع تعده سلوكاً منافياً لقيم الخير.[135]

وهذا يكون "رويس" فيلسوفا حتميا ، فالعالم كما يوجد هو تعبير عن الإرادة الأزلية للمطلق. فرويس من أنصار "الجبير الذاتي" بالنسبة لموضوع الحرية البشرية أفعالنا ، ونكون بالنسبة لها أحرارا ومسئولين أخلاقيا ، إن لكل منا فرديته الفردية الخاصة ، وله قيمته الخاصة بالنسبة لله ، ولا يمكن لأحد منا أن يحل محل الآخر ، ونحن عندما نكون مدركين لهذا التفرد ، كما ندرك قيمنا الخاصة ونكون ملهمين بسبب ذلك وبالتالي فنحن أحرار ، وعندما لا نفعل ذلك نقع في العبودية ، ولقد اعتقد سبينوزا "" Baruch Spinoza "أن الناس يكونون مستعبدين وغير أحرار ، طالما أنهم ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مجرد حلقات في سلسلة الأحداث المؤقتة ، لكن طالما أنهم يستطيعون تجاوز الزمان ، وينظرون لأنفسهم بمنظر أزلي ، وينشغلون بالحب العقلي لله فإنهم هنا يكونون أحرارا ، إلا أنه يشيد كثيرا على القيمة الفردية للأفراد".[136] ويجعل الله يشارك في كل حياتنا الواعية ، ويدركها مباشرة بطريقة أكثر تعاطفا ، وهو ما وضحه رويس من خلال معالجته المشكلة الشر.

([135]) كمال ذويبي : إشكالية الأخلاق المثالية في الفلسفة الأمريكية " جوزايا رويس أنموذجاً " ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، العدد 11 ، ديسمبر 2016 ، صـ 56

([136]) وليم كلي رايت : تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، صـ 474

الخاتمة والنتائج

لم تفتر معاول النقد المستمرة عن التعرض إلي الدين والفلسفة والأخلاق ، فلم يقتصر النقد الموجه للمنظومة الخلقية علي العصاة والمخالفين فحسب ، بل تعدى النقد ليشمل أشخاص يعدون أنفسهم من المخلصين للإنسانية ، فحيث تعتبر قوانين الملكية الشخصية من المسلمات التي يجب صيانتها واحترامها ببعديها الخلقي والقانوني ، نجد أن هناك من يتهمها بالخلو من السمة الأخلاقية ، وكذلك اعتبر قانون حماية الملكية لا أخلاقي وذلك لأن الوارثين لتلك الملكيات من مؤسسات أو أموال أو أراضي قد تكون انتقلت إليهم بطرق غير شرعية وغير قانونية وأخلاقية.

إن الهجوم الكبير الذي وجهته النشاطات الفكرية على القيم الأخلاقية القديمة وضع تلك القيم كمطلب أساسي عند تلك النشاطات لتجاوزها واعتبارها من التقاليد القديمة البغيضة ، وهي بنظر أولئك المفكرين تعتبر أخلاقا زائفة. هذا النشاط الذي جعل العالم مرتبكا وحائرا أمام خيارين : إما التمسك بالأخلاق القديمة على ما هي ، أو مسايرة التوجه الجديد بما فيه من فوضى تجعل العالم وكأنه بلا أخلاق. لذا كان لزاماً علي الفلاسفة الدور الأكبر في استنبات كل ما يواكب العصر من الأخلاق الفعالة ، ويهدف هذا إلي أخذ بذور الماضي وفضائله واستزراعها في بيئة جديدة تحتاجها ، وهذا ما احتذاه رويس بالضبط .

من خلال ما سبق يتضح لنا النتائج الآتية :

- هناك اتصال وثيق بين فلسفة رويس الخلقية ومنهج الشك الديكارتي فقد جاءت تطبيقاً له ، وان كان الشك جوهر الحقيقة فهو جوهر الأخلاق ، فعرض رويس لصراع المثل العليا بين المذاهب الخلقية الواقعية والمثالية ، وعدم صلاحية المبد أ الخلقي الواحد الذي ترد اليه جميع الغايات الخلقية
- إن مثالية رويس تجعل للعلم مكانته ولا تعارضه ، فالعلم أول مراحل معرفة الحقيقة ، وليس هناك غير طريق الفلسفة ، الذي يكشف وحدة العالم. وتعد فلسفة رويس من الفلسفات التي أهتمت بالمجتمع ، ويعتبر البعض أن وليم جيمس ورويس الممثلين الوحيدين للروح الأمريكية.

- عالجت فلسفة "رويس" موضوعات شكلت إشكالية لكل من الفلسفة والدين ، وبوجه خاص الدين المسيحي ، فلقد نتج عن فلسفة كانط" النقدية أن أصبحت فكرة الله والنفس وحرية الإنسان وخلود النفس من مسلمات أو مصادرات العقل العملي فقط ، وخارج حدود العقل النظري الأمر الذي شكل إشكالا كبيرا للديانة المسيحية ، والتي تأسست على هذه الأفكار ، وجاءت الفلسفات المثالية بعد كانط تعالج المشكلات الفلسفية التي نتجت عن فلسفته ، فردت كل شيء للأنا كما فعل فيشته ، ووحدت الأنا واللاأنا كما هي فلسفة "شلينج" ، وجعلت المطلق حاويا لكل شيء كما عند هيجل . فقالت بالمثالية الواحدية ، ووجدت المسيحية في مثل هذه المثالية القائمة على الوعي بالذات ، وتأكيد فكرة الله دعما لأفكارها ، وهي في العموم الأفكار التي سعى رويس لتعديلها وفق الدين المسيحي من خلال التوفيق بين آراء الفلاسفة السابقين
- أن فلسفة رويس هي محاولة للتأليف والتركيب بين فلسفات واتجاهات فلسفية معينة ، وذلك عبر موقفه النقدي أحياناً والتأويلي أحياناً أخرى ، وتدور فلسفة رويس في غالبها في فلك الحياة الأمريكية ومحاولة علاج المشكلات الاجتماعية.
- إن المحور الأساسي لكل مجالات الحياة عند رويس هو محور الأخلاق ، ولئن كان للأخلاق حقيقة جانبها العملي ، إلا أن رد كل شيء إلي الأخلاق يعد إغراقاً في التصوف ، وبعد عن جوانب الحياة ، كما أن المبالغة في القول بأن الخلق المستمر ما هو إلا خلق الأخلاق ، يجعل من الإنسان مجرد لحظة عابرة يبحث عن ذاته فلا يجدها.
- إن ما تميزت به معالجة رويس لإشكالية الأخلاق أنها عالجتها من منظور ديني خاصة في مشكلة العدالة الإلهية وتفسير وجود الشر ، ورغم استخدامه لمصطلح ليبنتز الفلسفي عن العدالة الإلهية ، إلا أنه قصد به المسألة الدينية ، كما أن مناقشته لإشكالية الحرية الأخلاقية للإنسان لم تكن كما ناقشها كانط ، بل تناولها بمنظور أقرب للمنظور الديني أي من حيث علاقة الله بالإنسان.
- تهدف فلسفة رويس الأخلاقية والدينية إلي الدفاع عن الدين المسيحي بصفة عامة والمطلق بصفة خاصة ، كما تهدف إلي تحقيق الوحدة الاجتماعية ، ويستطيع الإنسان الوصول إلي

المثل الأعلى المستقل عن الواقع من خلال البصيرة الدينية التي تعتمد علي الخبرة الفردية ، كما تعد الخبرة الاجتماعية والعقل من مصادر البصيرة الدينية .

- تتجلى فكرة الله عند رويس في الوجود الكلى في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وهو يشتمل على كل الحقائق في داخله ، وهو مطلق من حيث أنه غير مقيد بزمان أو مكان ، فهو يتجاوز الحاضر إلى الماضي والمستقبل ، ويتجاوز المكان هنا الى كل مكان آخر . وكما يقول رويس " فان الله هو الموجود المطلق " ، والانجاز الكامل للحياة ، وهو ليس شيئا آخر غير عالمه ، ولكنه حياة العالم ذاتها ، ونحن نوجد في الله ونحيا ونتحرك".
- إن حب الفرد للجماعة يمثل الولاء بتعبير رويس ، واستعداد فطري للانخراط في تجربة الحياة الجماعية بغية تحقيق ما يسمى بالوحدة الأثيرة أو الجماعة المحبوبة ، فالإنسان في جوهره ذو تركيبة غرائزية تدفعه نحو التعاون الاجتماعي والميل للغيرية
- لا يقتصر الولاء علي النبلاء والفرسان وأرباب المبادئ والمفكرين والدينيين ، وإنما تتعدد الولاءات لدي الأفراد في كل مكان ، فهناك ولاء الفرد لأسرته وعشيرته ومهنته وأصدقائه ووطنه ودينه وطائفته ..إلخ ، بل قد يصل الولاء إلي درجة الاستشهاد في سبيل ما يؤمنون به من عقيدة أو فكرة وشرف الانتماء للوطن ، وعلي الرغم من عدم إيمان رويس بالإخلاص في الولاء إلي درجة الانصياع وراء الحروب من أجل الدفاع عن انتمائه لوطنه واعتبر ذلك هد للقيمة الأخلاقية ، إلا أنه عاد ليصف ذلك الولاء بأنه الإخلاص والتفاني في سبيل قضيته ، معدداً صور الولاء المتمثلة في التضحية بالحياة من أجل الدفاع عن الوطن والإخلاص في سبيل الدين والعقيدة ، وبسالة قائد السفينة في أداء مهامه إذا تعرض لمصائب .. الخ .
- لقد وضع رويس جدلاً من خلال فلسفة التأويل أشبه بالمقولات الكانطية ، وإن كانت أكثر اكتمالاً منها ، وفي الأخلاق جاءت البصيرة الدينية أقرب للواجب الكانطي . وفي مسألة وجود الشر اقترب من هيجل وإن كان قد سلك طريقاً مختلفاً في البرهان ، واقترب رويس من برجسون في أن الانفعال مصدر الأخلاق وبالضبط في الإعجاب بأخلاق الولاء

مؤكداً علي أن الفرد له علاقة بالمطلق عن طريق مشاركة التجربة الفردية مع التجربة المطلقة وفهم الإنسان لهذه المشاركة .

- ظلت مسألة نسبة الشر إلي الله مثل دل وأخذ ورد خاصة في الفلسفة الإسلامية ، حيث يرى بعض فلاسفة المسلمين أن الشر معنى عدمي وبالتالي غير موجود وانما الموجود هو الخير وهذا لتبرأة ساحة الله من فعل الشرور ونسبتها إليه ولكن رويس في هذه المسألة يبين أن وجود الشر امر حقيقي وواقعي ولكن وجود الشر يحتمه عالمنا الأجل التكامل وكمال الحياة الإلهية .

المصادر والمراجع

أولًا : المصادر العربية

1. جوزايا رويس : الجانب الديني للفلسفة، نقد لأسس السلوك والإيمان ، ترجمة أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2009.
2. جوزايا رويس : روح الفلسفة الحديثة ، ترجمة د. أحمد الانصاري ، مراجعة د. حسن حنفي ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة العدد 468 ، ط 1، 2003.
3. جوزايا رويس: فلسفة الولاء، ترجمة احمد الأنصاري، ترجمة أحمد الأنصاري ، مراجعة حسن حنفي ، المشروع القومي للترجمة ،القاهرة، 2002.

ثانيا : المصادر الاجنبية

1. Josiah Royce ; The Religious Aspect of philosophy ,A Critique of the Bases of Conduct and of faith , Boston and New York, Houghton , Mifflin Company, The Riverside Press Cambridge, 1885.
2. Josiah Royce ; Philosophical review , Longmans, Green and co, Lancaster, PA, New York , 1916

ثالثا : المراجع العربية:

1. ابراهيم يسري : فريدريك نيتشة ، فلسفة الأخلاق ، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان.، 2007.
2. أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت ، ج3.
3. أبي الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور : لسان العرب ، بيروت ، 1959 ، ج11.
4. أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (الراغب) : المفردات في غريب القرآن ، ضبط هيثم طعيمي ، دار أحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002.
5. أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس ، مركز الكتاب للنشر – القاهرة ، ط1، 2004م .
6. أحمد فؤاد اللاهوني : فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، ط 1 ، دار احياء الكتب العربية ، 1954 .
7. أفلاطون : محاورة الجمهورية ، ت. فؤاد زكريا ، دار الكتاب العربي ، 1968.

8. أمل مبروك : العدل الإلهي ، دراسة في فكر ليبنتز والمعتزلة ، الدار المصرية السعودية ، القاهرة ، 2009.
9. أميل برهيبة : تاريخ الفلسفة ، جـ 4 ، ترجمة : جورج طرابشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983.
10. إيمانويل كانط : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة عبد الغفار مكاوي ومراجعة عبد الرحمن بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1980 .
11. باروخ سبنوزا : علم الأخلاق ، ترجمة جلال الدين سعيد ، مراجعة جورج كتورة، مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، اكتوبر 2009.
12. توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية – نشأتها وتطورها ، طار النهضة العربية ، القاهرة ، ط 2 ، القاهرة ، 1967 .
13. الجرجاني : التعريفات ، باب الهمزة ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، 1948.
14. جفري بارندر : المعتقدات الدينية لدي الشعوب، ترجمة د. امام عبد الفتاح امام، سلسلة عالم المعرفة الكويت، العدد 173، 1993.
15. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الجزء الأول ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982.
16. جوتفريد فيلهلم ليبنتز : المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي ، ترجمة : د.عبد الغفار مكاوي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1978.
17. جيرار ديلودال، الفلسفة الأميركية، ترجمة جورج كتورة والهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة – بيروت، ط1، 2009.
18. جيل دولوز : فلسفة كانط النقدية ، ترجمة أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، 1980.
19. رفقي زاهر : الفلسفة الحديثة ، دار الطباعة الفنية ، القاهرة ، ط 1، 1979.
20. زكي نجيب محمود : فلسفة الأخلاق ، رابطة التربية الحديثة ، مجلد 3 ، جزء 13 ، يوليو 1993
21. سمير كرم : مفهوم الولاء .. الذي اختفي ، مقال في جريدة الشروق المصرية بتاريخ 28 يوليو 2010
22. عامر عبدالله فالح: معجم ألفاظ العقيدة، مكتبة العبيكان، الرياض، 1417هـ.
23. عبد الرحمن بدوي : أفلاطون ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1943.

24. عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفية (ج 1)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1984 ، ص 544 ، وأيضاً راجع جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة – بيروت، ط3، 2006.

25. عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، جـ2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الكويت ، ط 1، 1984.

26. علي أسعد وطفة : في مفهوم الأخلاق " قراءة فلسفية معاصر " ، جمعية الاجتماعيين في الشارقة ، مجلد 30 ، العدد 119 ، 30سبتمبر 2013.

27. غرايغور فرانسوا : المذاهب الأخلاقية الكبرى ، ترجمة قتيبة المعروفي ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط 3 ، 1984

28. فتح الله خليف : المدخل إلي الفلسفة من وجهة الإسلامين ، دار الجامعات المصرية ، مصر 1982.

29. فردريك كوبلستون : تاريخ الفلسفة، ترجمة محمود سيد أحمد، المركز القومي للترجمة – القاهرة، م8، ط1، 2009.

30. فوزي اسكندر : الديانات الهندية و القديمة ، دار الأفاق ، بيروت، الطبعة 3 ، 1983.

31. الفيروز بادي : القاموس المحيط ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ،جـ 3 1983.

32. القديس أوغسطين : الاعترافات ، ترجمة الخوري يوحنا الحلو ، دار المشرق ، بيروت ، ط 6، 2000.

33. كمال ذويبي : إشكالية الأخلاق المثالية في الفلسفة الأمريكية " جوزايا رويس أنموذجاً " ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، العدد 11 ، ديسمبر 2016.

34. مجموعة من الأباء اللاهوتيين ، معجم اللاهوت الكتابي ، دار ماستر ، القاهرة ، 1983.

35. محمد بدوي : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، دار المعارف ، مصر ، 1997 .

36. محمد بن سعيد القحطاني: الولاء والبراء في الإسلام، الفتح للإعلام العربي، القاهرة.

37. محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1364هـ.

38. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الخامسة عام 2011

39. نازلي اسماعيل حسين : الفلسفة الالمانية ، نظرية العلم ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، 1973.

40. وليم جيمس : البراجماتية ، ترجمة .محمد علي العريان، تقديم: زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية ، 1965.

41. وليم كلي رايت : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة محمود سيد أحمد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010.

42. يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، 2014.

رابعًا : المراجع الأجنبية

1.Bruce Langtry : God, The Best, and Evil, 1st ed, Oxford and New York : Oxford University press,2008

2.Grawitz, Madelin: Lexique des sciences sociales, Dalloz, Paris,1983.

3.James p. Strerb ; Ethics: The big questions, 1st ed, Oxford: Blackwell publishers Ltd.1998.

4.John Perry and Michael Bratman; Introduction to philosophy: classical and contemporary Readings, New York and Oxford: Oxford University press,1999 .

5.Leibniz, Gottfried : God, Evil, and The Best of all possible worlds, In John Perry and Michael Bratman (eds.) (1999), Introduction to philosophy: classical and contemporary Readings, New York and Oxford: Oxford University press.

6.Richard Swinburne: Providence and The problem of Evil, 1st ed, Oxford: C Larendon press.1998.

7.Richard Swinburne ; Is There A God?, Oxford and New York : Oxford University press,1996.

8. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=222465 .16/7/2022